

نيسان ١٩٣٣

العدد الحادية والثلاثون

التاريخ البيزنطي للأنطاكية

بين الاتحاد والانفصال

بقلم الأب اثناسيوس حاج قب

رئيس المدرسة الشرقية في زحلة

١

ذلك الفرع الكبير الذي نبت على اصل الكنيسة المقدسة منذ نشأتها قامت منه الفصون حاملة ازهار الفضائل وثمار القداسة، وتفتت فوق افئانه بلابل الفصاحة والبلاغة، واستظل بظله الوارف روات المؤمنين، وسقت دماء الشهداء، حيناً بعد حين.

رأت الجحيم عظمة هذا النضن فأنارت عليه عاصفة المرطقة والشقاق لتجفف منه ماء الحياة وكادت تهضره، لولا ان المسيح الذي سقى شجرة كنيسته بغزير دمانه ابى ان يفضله هذا النضن زماناً طويلاً، فصل على عودته شيئاً فشيئاً. ولعل الزمان قد حان لكمال الاتحاد المنشود. فلنلق نظرة تلميحياً على

البطريركية الانطاكية منذ نشأتها الى الآن ترى ما شئت شمل ابنائها على حين انهم كانوا عائلة واحدة متحدة برأس الكنيسة . وحينئذٍ نعمل بكل ما فينا من غيرة ورحمة على تبديد الاوهام وتذليل العقبات في سبيل تحقيق تلك الامنية الجليلة ، امنية الاتحاد ، فيرجع اذ ذاك الابنا . الى ابيهم وتعود العائلة والرعية لراع واحد بعون الله .

لم تكد الكنيسة المقدسة تناس في اورشليم حتى ناز نائر الاضطهاد عليها فلجأ بعض الاخوة الى انطاكية حيث بشروا بالدين الجديد حوالي سنة ٣٥٠ . ثم جاء اليها القديس بطرس ، وقضى فيها بضع سنوات مزتاً كنيسة لم تلبث ان اصبحت مبعثاً للبشرين ترسلهم الى جميع الجهات . وهكذا قد بثت الايمان في اماكن كثيرة ، ونالت بذات الفعل بعض السيطرة على الكنائس التي انشأتها . وهذه السيطرة قد اقر لها بها المجمع النيقاوي . وهكذا بدأ نشأ البطريركية الانطاكية .

وبينا الكنيسة الانطاكية تنمو نمواً سريعاً اذا بالبدعة الآريوسية تحدث فيها انشقاقاً بقيت تتألم منه من سنة ٣٣٠ الى سنة ٤١٥ . فكانت الاحزاب في خلال هذه المدة تتنازع كرسي الاسقفية الانطاكية تنازاعاً غريباً . الى ان اتاح الله تعالى للبابا داماسيوس وخليفته ان يضا حداً للسلطام البشرية ويرجم الامور الى مجارياً^(١) .

بعد ان قضي على البدعة الآريوسية في كنيسة انطاكية ، قامت بدعة نسطوريوس ، بطريرك القسطنطينية ، المعلم ان في المسيح اقنومين ، وقبعه في تعليقه بعض اساقفة كنيسة انطاكية . الا ان المجمع الانسي^(٢) حرمه وقضى على بدعته . بيد ان هذه البدعة لم تنقض حينئذٍ الا لتقوم على انقاضها بدعة اخرى تدعي ان في المسيح طبيعة واحدة ، فحرمها المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ ، وكادت

(١) ان التاريخ يبيد ذاته . فا حدث في كرسي انطاكية في الجيل الرابع قد تكرر حدوثه فيها مراراً . انظر مقالة «تنازع الامنية في انطاكية» في المشرق [١٩٣٨] ٦٠٨ .
(٢) من طالع ٤٤١ هذا المجمع المزلف من اساقفة الشرق خصوصاً رأى باجلى يسان سلطة البابا . على الكنيسة جماء . - اطلب المشرق [١٩٣١] ٢٩٦

تندثر لو لم تجد في يعقوب البرادعي ، اسقف الرها ، مناصراً كبيراً ، قننى لها ان تشيد بطريركية جديدة لقت بطريركية اليعاقبة وذلك سنة ٥٤٣ . ومنذ ذلك الحين دعا اليعاقبة اتباع المجمع الخلقيدوني بالامبراطوريين لان البلاط الامبراطوري كان مناصراً له ، ثم غلبت قسيتهم بالملكيين .

ولم يمض طويل زمان حتى نشأت بدعة اخرى تعلم ان في المسيح مشيئة واحدة . وهذه البدعة قد اضلت عدداً كبيراً من مسيحي الكروسي الانطاكي . وقد توصل الامبراطور هيراكليوس ، مناصر هذه البدعة ، الى ان يستميل اليها عدداً كبيراً من الرهبان . فانفصل هؤلاء عن البطريركية الانطاكية سنة ٦٨١ ، واصبحوا بذلك عرضة لاضطهاد اليعاقبة والملكيين معاً واضطروا ان يهربوا . فلبثوا على حالهم حتى عهد الصليبيين .

اقصصال البطريركية الانطاكية عن رومة

بقيت رومة المرجع الاخير للاساقفة والبطاركة كما يظهر من رسائل القديس اغناطيوس الشهيد وغيرها ، ومن تدخل البابا داماسيوس وخلقه في حل مسألة تنازع اسقفية انطاكية ، ومن مجمع افسس وغيره ، الى ان قام فوتيرس محاولاً اختلاس الكروسي القسطنطيني من يد بطريركه الشرعي القديس اغناطيوس سنة ٨٥٧ . وقد تراءى فوتيرس الى الحبر الاعظم حتى يثبت في البطريركية ، وابدى كل خضوع في يده . الامر الا ان البابا لم تخف عليه الحقيقة فرشق بالحرم . فنزلع اذ ذاك فوتيرس نير الطاعة وانفصل مع الامبراطور عن رومة .

غير ان المجمع المسكوني الثامن والقسطنطيني الرابع سنة ٨٦٩ اوقف الشقاق بخطط فوتيرس عن كرسيه . ولم يزل البطاركة بعدئذ يرسلون صورة ايمانهم الى الحبر الاعظم ، ويقومون اسمه في الذبيحة ، ويوفرون الدعاوى الى محكمته العالية حسب عاداتهم القديمة . الى ان ارتقى الى الكروسي القسطنطيني ميخائيل كيولاروس (١٠٤٣-١٠٥٨) فامر باغلاق كنائس اللاتين ، وشهر انفصاله عن البابا . فاجتهد البطريرك الانطاكي بطرس الثالث في ارجاعه عن غيه ، ولكن عبثاً . اما البطريركية الانطاكية فقد بقيت خاضعة لرومة الى ان ارتقى اليها

حوالي سنة ١٠٥٧ ثيودوسيوس الثالث المتحزب الكيولاروس فلم يرسل للبابا صورة اعترافه . وكل البطاركة اليونانيين الذين خلفوه نهجوا نهجه . فيكون الانشقاق في الكنيسة الانطاكية قد بدأ ، والحالة هذه ، منذ سنة ١٠٤٧ ، غير انه لم يكن قانونياً وعلنياً كما في القسطنطينية ، ولا صورياً الا عند البطاركة اليوناني الاصل . اما البطاركة الوطنيين مع المؤمنين فقد بقي انشقاقهم مادياً زماناً طويلاً . وما يجدر ذكره ان الشعب نفسه لا يمكن ان تنسب اليه الانشقاق ، فقد كان غريباً عما يحدث بين البطاركة ورومة . وبقا الاتحاد او زواله كان منوطاً بارادة البطريرك وحده ، بحيث اذا انفصل جرمه كل بطريركيته الى شقاق لم يكن صورياً ومجرماً الا في البطريرك واساقفته .

الارمن من عمر الصليبيه منى الفتح العثماني

يظهر ان البطريرك داود اعتنق الكلكة نحو سنة ١٢٤٨ ، ونال من البابا الاذن في الاقامة بمدينة انطاكية .

ثم لما كان الامبراطور ميشال الثامن البيلولوغ راعياً في الاتحاد رفع الى كرسي انطاكية ثيودوسيوس الرابع لما انس فيه من الاستعداد لذلك . وهذا قد قبل فعلاً سنة ١٢٧٤ بالاتحاد المعمول عليه في مجمع ايون . غير ان هذا البطريرك استقال من البطريركية سنة ١٢٨٣ . واما كان الاكليروس الشرقي يهض الاكليروس الغربي بغضاً شديداً عاد فانفصل عنه .

ومضت اعوام فعاد الشرق والغرب الى الاتحاد سنة ١٤٣٦ في مجمع فلورنسة ، الذي ارسل اليه البطريرك دوروثاوس الاول معتده . وقيت تقارير هذا للمجمع بفرح عظيم في سورية كلها . بيد ان ارسانيوس ، ميتروبوليت قيصارية كبادوكيا ، لقي على اثر ذلك لزيارة الاماكن المقدسة ، واقنع بطريرك اورشليم وبطريركي الاسكندرية وانطاكية بالاجتماع سنة ١٤٤٣ ، وبنيد تقارير مجمع فلورنسة . وهكذا فرق اعداء الاتحاد القارب من جديد .

ولم يكن الاحبار الرومانيون ليعتظروا او يجفوا ابناءهم الشرقيين . فان البابا كاليستوس الثالث سمى في عودة الشرق اليه ، كما ان البطريرك الانطاكي

مرقص الثالث اقتنع بذلك سنة ١٤٥٧ ، فجمع مجعاً اقر فيه اعادة ذكر الحبر الاعظم في الذبيحة الالهية . وكذلك خليفته يواكيم الثاني فاته كتب الى البابا يعلمه بارتقائه الى البطريكية . واما نهاية هذا الاتحاد فلا يعلم متى وكيف كانت . ولها ثمره عدم متابعة الكتابات والعلاقات ، وتدخل الإكليروس اليوناني المتحصب ، ولاسيما بعد ان وضع يده على بطريكية اورشليم سنة ١٥٣٤ ، واخيراً للسوق العدائي الذي وقفه الاتراك تجاه مسيحيي اربدة ، وخصوصاً تجاه الاحبار الرومانيين ومقاومتهم كل اتحاد معهم^(١) .

حركة الارمناد في القرنين السادس عشر والسابع عشر

ان القسم الثاني من القرن السادس عشر رأى حركة كبيرة نحو الاتحاد . فان البطريك الماروني كان في يده قد جدد اتحاد شعبه مع الكرسي الرسولي . وكذلك الكاثوليكوس النسطوري فانه قدم صورة ايمانه الى الحبر الاعظم مؤثراً الكنيسته الكلدانية الكاثوليكية .

وقد حدث في البطريكية الانطاكية الملكية شي . من هذا ، فان البابا غريغوريوس الثالث عشر انتدب كاهناً مالطياً اسمه ليونار ابيلا ليعمى بالاتحاد ، فاجتمع هذا بالبطريك ميخائيل السابع نحو سنة ١٥٩٣ . وبعد المباحثات وقع البطريك صورة الايمان الكاثوليكي وارسل كتباً الى البابا يعده فيها ببذل كل ما في رسمه لاعادة الاتحاد . غير ان الموت لم يترك له السبيل لذلك^(٢) .

وبعد ذلك ببضع سنين تسنى للاب ليونار ان يقنع ملاتيوس كرمه ، اسقف حلب ، بالاتحاد . فتقرب هذا الى رومة التي اوصت به المرسلين الذين كانوا يعملون على بث افكار الاتحاد^(٣) .

وفي سنة ١٦٣٤ ارتقى ملاتيوس كرمه الى السدة البطريكية ودعي

(١) اما الآن وقد تقلصت سيطرة الاكليروس اليوناني عن بطريكية انطاكية ، واضحت دولة الاتراك التي كانت عاملة على تفريق الطوائف لتزود عليها ، فان الاتحاد اصبح سهلاً على ذوي الارادة الصالحة .

(٢) انظر مادة انطاكية في معجم تاريخ وجغرافية الكنيسته

(٣) قدم اليسوعيون والكبوشيون الى حلب سنة ١٦٢٥ ، والكرمليون سنة ١٦٢٦

اقتيسوس الثاني ، فاحضر معه الى دمشق احد المرسلين ، الاب قيروط ، وعهد اليه بالتبشير . غير ان هذا البطريرك مات سنة ١٦٣٥ قبل ان يتم الاتحاد بصفة قانونية . وقد ضاعت رومة ماعيا فوعد البطريرك مكاريوس الثالث زعيم بارسال صورة ايمانه مع اسقفين . وقد قام بوعدده سنة ١٦٦٤ . غير انه لم يجزأ ان يجاهر بذلك ويقاطع بطاركة الشرق الارثوذكس ، ومات سنة ١٦٧٢ .

وكان له نسب اسمه قسطنطين زعيم اسقال اليه والي الشام واساقفة معلولا والزبداني وصيدنايا ، فسمي بطريركاً ومسي كيرلس الخامس . اما سائر الاساقفة فقد اجتمعوا وسامرا نارفيطوس ، مطران حماة ، الذي رزح تحت الديون واستقال سنة ١٦٨٢ . ولم يلبث كيرلس ان وجد منازعاً آخر في بروكويوس دباس الذي نال فرماناً بالبطريركية ، وسامه ثلاثة اساقفة بطريركاً سنة ١٦٨٥ ومسي اثناسيوس الثالث ، وقد نال بواسطة الفرنسيسكان تثبيت رومة بعد ان ارسل صورة ايمانه ١٦٦٨ هو ومكاريوس ، مطران طرابلس ، الذي هداه الكبرشيون . ومن امتازوا وقتئذ بايمانهم الكاثوليكي بين الاساقفة وبغيرتهم المتقدمة عليه اقتيسوس الصفي المرلود في دمشق سنة ١٦٦٨ ، وهو ابن اخت البطريرك اقتيسوس كرمة الذي كان قد عهد بتربيته الى الاب قيروط . فاقتيسوس هذا الذي رقاه كيرلس الخامس سنة ١٦٨٣ الى كرسي صور استحق ان تعطيه رومة الولاية على جميع كاثوليك البطريركية في الاماكن التي لا اسقف كاثوليكي فيها . وفي ١٧٠١ اعترف بالايان الكاثوليكي يرنانوس ، اسقف بملك ، وملكستروس دهان ، مطران بيروت ، ونجحت مساعي الاتحاد نجاحاً باهراً ولاسيما في حلب والشام .

ازدواج الظلمة الكذبة في البطريركية الانطاكية المملوكة (١٧٠١-١٧٢٤)

كان لا بد من اكليروس وطني منظم الشؤون لامكان توسيع نطاق الاتحاد وتبانه . وهذا ما تم في تأسيس اترهبانية الشورية في دير الصانع ، والرهبانية المخلصة قرب صيدا . وقد فهم مجمع انتشار الايمان ضرورة هذا الامر ، فاجتهد في تكثير عدد الطالبين الاكليريكيين الملكيين في رومية ، فن هولاء الطلبة سارافيم طاناس ، ابن اخت اقتيسوس صفي ، سم كاهناً سنة ١٧١١ ،

واخذ يبشر بالكنيسة . وكثر عدد الكاثوليك فبلغ في ابرشية اقيميوس ،
على قوله ، خمسة عشر الفا . ولم يكن يقل عن ذلك في حلب والشام .
وكان قنصل فرنسة في صيدا غيوراً على الكنيسة فاجتهد ان يرد كيرلس
الخامس ، وقد استدرجه الى ذلك رويداً رويداً . اخيراً ارسل كيرلس صورة
ايمانه الى رومة مع طاناس ، هو وبرايسموس مطران سيدنايا سنة ١٧١٦ . وبناء
على ذلك اقرت رومة تثبيت كيرلس بطريركاً . الا ان المسئلة لم تكن انتهت
بعد حتى علمت بوفاته سنة ١٧٢٠^١ . حينئذ استلم زمام البطريكية اثناسيوس
الثالث الذي بقي متقبلاً بين الارثوذكسية والكنيسة حتى وفاته سنة ١٧٢٤ .
ويقال انه عمل صورة ايمانه الكاثوليكي على سرر التزعاج^٢ .

ان اثناسيوس الصفي لم يتسن له تبو العرش البطريركي ، لانه بسبب اندفاعه
الشديد وتغييره بعض الطقوس اهاج الرأي العام عليه . والحزب الكاثوليكي في
الشام بادر الى تحمية بطريرك قبل تدخل الفئار ، فانتخبوا في ايلول سنة ١٧٢٤
سارافيم طاناس ابن اخت المطران اقيميوس صفي ، ودعوا مطران سيدنايا
ناريفيطوس نصري ، وباسيليوس فينان ، اسقف بانياس ، فامرو اقيميوس فضل
المخلصي اسقفاً لرحلة ، وثلاثتهم رفقوا الى البطريكية سارافيم طاناس الذي -
كيرلس السادس (عن سجل الرهبانية السورية) . فلما بلغ ذلك بطريرك القسطنطينية
جمع مجمع اساقفته فامرو بطريركاً شماس البطريرك المتوفى واسمه سلفستروس ،
واخذوا له براءة سلطانية . وارقعه البطريرك ارميا الثالث بصورة الحرم والخط
لكيرلس طاناس . ومنذ ذاك الوقت تميزت البطريكية والارثوذكسية .

(١) جاء في سجل الرهبانية اخصية ان « السيد البطريرك كيرلس الانطاكي الحلبي كان
يتبر الايمان الكاثوليكي . وفي عمل آخر : ٦٥ : ٢ سنة ١٧٢٠ رقد بالرب البطريرك كيرلس
وتوفي كاثوليكياً مبتأ من الحبر الاعظم »

(٢) جاء عنه في سجل الرهبانية السورية انه لما زار دير الصايغ سنة ١٧٢٠ . خلا بالتحوري
مكيوس والحدري نقولا . . . ثم قلنهم بان لا يظهروا شيئاً مما يقتضي الايمان الكاثوليكي
فاجابوا بشجاعة ضد قوله . « وفي اماكن اخرى اشارة الى « اعمال كثيرة خبيثة » فلما
اثناسيوس ضد الكاثوليكين « وجه سهم اضطهاده للكاثوليكين بعد عودته من المجمع
القسطنطيني . . . حرب زاخر من وجه اثناسيوس . . . » (للكلام صلة)

ابن عبد ربه و «عنه»

درس ادبي تاريخي

بقلم جيراثيل جنور

أحد أساتذة الادب العربي في جامعة بيروت

الاميركية

٧

فهم النقد التاريخي (تابع)

نظرة الى تاريخ الاندلس واقتصاره على قدر ضئيل منه

ذكرنا غير مرة ان اخبار ابن عبد ربه عن الاندلس قليلة الاهمية . ولعل
الصاحب بن عباد قد انصف العقد ، عندما طلبه وقرأه وقال : « هذه بضاعتنا
ردت الينا . ظننت ان هذا الكتاب يشتمل على شيء من اخبار بلادهم ، وانما
هو مشتمل على اخبار بلادنا . لا حاجة لنا فيه . »^{١١}

وغريب جداً ان يسكت ابن عبد ربه عن تصوير بعض النواحي من الحياة
الاجتماعية والادبية في قرطبة زمنئذ ، وبالأخص في بلاط الاسراء ، فلا يذكر الا
اسماء اسراء الاندلس من عبد الرحمن الداخل الى عبد الرحمن الناصر مع شيء
قليل من ترجمات حياتهم . غير انه قد ترك لنا في عقده ارجوزة تلخيصية في
الاتصارات التي احزها الخليفة عبد الرحمن الناصر على اعدائه في الاندلس ضمت
١٤٤ بيتاً تكاد تكون من اقدم الاشعار العربية في الملاحم . ولقد وضعها على
الطريقة التوقيفية بحيث ذكر فيها اخبار النزوات سنة فسنة ، مبتدئاً من سنة
٣٠٠ وانتهى بها الى سنة ٣٢٢ ، اي قبل موته بست سنوات . وقد حارثنا

١١ ياقوت ٦٧: ٢ - وراجع القرآن ١٢ [يوسف] ٦٥ قائلوا يا أبا تاما
نبئني هذه بضاعتنا ردت إلينا

تلميل سكرته عن هذه الست سنوات عند بحثنا عن حياته . فليراجع هذا الامر هناك . غير انه فاتنا ان نشير الى اننا عثرنا في العقد على ما يفيد ان ابن عبد ربه نفسه اوقف الارجوزة عند سنة ٣٢٢^(١) ، فليتنبه الى هذا .

ولارجوزة ابن عبد ربه قيمة تاريخية ثمينة من حيث ذكر الوصائع وزمن حدوثها والاماكن ، واسماء كثير من القواد الذين اشتركوا فيها من جانب العرب ، واسماء كثير من المدن والحصون التي سقطت بايديهم في السنوات المذكورة ، مع ذكر زمن موت بعض القواد - وربما اتي في الارجوزة على بعض الاخبار التي تهم المؤرخين للزمن الذي سبق وقائع الناصر ، كأن يقول مثلاً في خبر سقوط طليطلة سنة ٣٢٠

فاذنت وقبلها لم تذهبن ولم تقدي من قسما وتمكن
ولم تدن لرجا بدين ، سبا وسبعين . من السنين (٣)

وتظهر الارجوزة وجهة نظر ابن عبد ربه ككلم يورخ وقائع الناصر ، وموقفه ازاء اعداء الخليفة الاندلسيين لاسيا النصارى منهم . وسنعرض لهذا الامر بمناسبة اخرى .

زعتة المغربية

ولئن كان هؤلاء العرب ومواليهم في المغرب يقلدون المشاركة في نهضتهم ويحذون حذوم في علومهم وآدابهم ، فقد كانوا بالوقت نفسه يتعصبون لاقليمهم واهليه ، ويمارلون في بعض الاحيان اظهار ان ما عندهم من علم وادب لا يقل عما عند المشاركة ، وترى هذه الظاهرة قوية في كتاب المقرئ «فتح الطيب في غصن الاندلس الرطيب . . .» حيث خصصت الفصول الطوال لتبيان مفاخر رجال الاندلس ، اذا قوبلوا باهل المشرق ، وذكر انهم لا يقلون عنهم من مختلف الوجوه .

اما ابن عبد ربه فيختلف عن هؤلاء المؤلفين المغاربة في امر اظهار هذه

(١) ابن عبد ربه ٢: ٢٦٣

(٢) ابن عبد ربه ٢: ٢٧٦

الترعة . ولعلها لم تكن قوية في نفوس رجال العالم ، زمن ابن عبد ربه ، بينما زارها على اشدها في المصور التي تلتها . زد على ذلك ان ابن عبد ربه لم يكتب كثيراً عن الاندلس وتاريخها ورجالها من علماء وادباء وشعراء . فن الطبيعي اذا ان يصعب علينا معرفة قوة هذه الترعة في نفسه ، وبالتالي درس اثرها في عقده . ومما يمكن من ذلك فاننا نرى ان ابن عبد ربه قد اظهر شيئاً من هذه الترعة في مقدمة عقده حيث قال :

« وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشر نجانس الاخبار في معانيها وتوافقه في مذايعها وفقرت بما غراب مر شمري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لغربنا على قاصبه وبلدنا على انفعائه حقاً من المنظوم والمنثور . » (٤)

وزاه في كثير من المواضع في عقده ، اذا ذكر شعراً لاحد المشاركة ، اتبعه بشعر له كأن يقول مثلاً : « قال ابو زيد في وصف الاسد الخ . ثم يقول : « ومن قولنا في وصف الاسد ما هو اشبه به من هذا الخ . »^(٥) كذلك يذكر معارضته لصريع الترواني في قصيدته :

« ادبر اعلى الراج لا ثربا قلى »

ويروي ابياته التي قالها على روييا :

« أتنتلني ظلماً وتبجدني قتلى »

ثم يعقبها بقوله :

« أن نظر الى سولة هذا الشعر مع بديع مناه ورقته طبعه لم يفضل شعر صريع تنده الا يفضل التقدم ولا سيما اذا قرن قوله في هذا الشعر :

« كنت الذي التى من الحب عاذي فلم يدر ما بي فاسترحت من العذل

بقولي في هذا الشعر :

واحييت فيها العذل حباً لذكرها فلا شي . اشهى في فؤادي من العذل . » (٣)

ويذكر اشعاراً للعباس بن الاحنف ، ولجميل بن معمر ، ولعمر بن ابي ربيعة ، « في رقة التشيب » ، ثم يعقبها بشعر له يقدم له بقوله : « ومن قولنا في رقة التشيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ا . تقدم ذكره . »^(٦) ويقول في موضع

١٣ ابن عبد ربه ٣ : ١٦٤

(١) ابن عبد ربه ١ : ٢٠

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٤

١٣ « ٣ : ١٧٥

آخر : « اعلم بانك متى نظرت بعين الانصاف وقطعت بحجة العقل علمت ان لكل ذي فضل فضله ولا ينفع المتقدم تقدمه ولا يضر المتأخر تأخره. »^١ وله شعر يفخر به على شعراء المشرق :

« هنا تنق قوافي الشعر في هذا الروي
قوافي البست حلياً من الحسن البدي
تالت عن جرير ، بل زهير ، بل عدي . »^٢

وله ايضاً في آخر قصيدة :

« هذه جملة امثال فن شاء فيحكى
ابطلت كل ياقية م وشامي ومكي »^٣

ونرى ان اكثر هذه الامثلة تُفسر ايضاً على اساس النزعة الشخصية . انما يجوز ايضاً ان يشتم منها شيء من النزعة الاقليمية .

ونرى ان ابن عبد ربه ، عند ذكره ترجمة الامراء المتدليين الذين تولوا الحكم حتى زمانه ، يجزل لهم المدح ويورد عنهم اخباراً في تبيان مفاخرهم . وقد ذكر خبر مدح ابي جعفر المنصور عبد الرحمن الداخل ، وتسميته اياه بصقر قريش ، وتقضيله اياه على معاوية وعبد الملك^٤ . ويذكر احدى غزوات الناصر المعروفة بغزاة المتلون التي افشح فيها حصون كثيرة فيقول : « ولم يكن مثل هذه الغزاة للملك من الملوك في الجاهلية والاسلام. »^٥ كذلك يذكر جوده ويقول : « لم يعرف لاحد من الجاهلية والاسلام الا له وقد ذكرت ذلك في شعري الذي اقول فيه :

- يا ابن الخلاف والعل للسنن
نوتت بالخلفاء بل اهلهم
اذكرت ، بل انبت ما ذكر الاول
وانبت آخرهم ، وشاؤك فانت
الآن سميت الخلافه باسمها
تأني فمالك ان نقر لآخر
والجود يعرف فضله للفضل
حتى كأن نيلهم لم ينيل
من فطهم ، فكأنه لم يفل
لآخرين ، ومدرك الاول .
كالبدر يقرن بالسك الاعزل
منهم ، وجودك ان يكون لاول^٦

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٨

(٤) « ٢ : ٢٥٧ »

(٦) « ٢ : ٢٦٣ »

(١) ابن عبد ربه ٣ : ١٧١

(٣) « ١ : ٢٠٧ »

(٥) « ٢ : ٢٦٤ »

ولا بد لي من الاشارة الى ان هذه التزعة — ان ثبت ان في نفس ابن عبد ربه شيئاً منها — ليست من الاهمية كما أسلفنا ، حيث ان ابن عبد ربه لم يُعن كثيراً في تدوين اخبار بلاده ، بل ان هناك مَنْ حبه مقصراً من هذه الناحية . كتب ابو علي الحسن التميمي القيرواني الى ابن حزم يذكر تقصير اهل الاندلس في تحليد اخبار علمائهم ومآثر فضلائهم وسير ماوكهم . ثم أتى على ذكر ابن عبد ربه وعقده فقال : «على انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيا اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكة ببيتة سلكه . أكثر الخُرّ واحطأ المفصل واطال المزم لسين غير مقصل ، وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعينهم وانغال ما يهيمهم»^١

نظرة كسلم الى النصراني في الاندلس

وتبين هذا من الاخبار القليلة التي دونها في عقده عن الاندلس وتاريخ الامراء . والخليفة عبد الرحمن الناصر الذي عاصره فيها ، ومن ارجوزته التاريخية في ذكر وقائع الخليفة المذكور . ويظهر من هذين المصدرين ان ابن عبد ربه كان شديد الحنئة على النصراني ، اعداء المسلمين في الاندلس ، ينتهم تارة باهل الشرك والكفرة والاعلاج ، وطوراً بالشياطين والكلاب والخنازير . ومن الخير ان ندلّ على ذلك بائنة معينة . قال في ترجمة الامير محمد : « وكان الاير محمد غزاً ، لاهل الشرك والخلاف »^٢ وقال في ترجمة الامير المنذر بن محمد : « ثم غزا الى المارق الموتر عمرو^٣ بن حفصون . . . فلم يجد الفاسق منفذاً ولا متنبأ . » وقال في موضع آخر : « فلما رأى الفاسق الفرصة انتهزها . »^٤ وترى هذه النعوت كثيرة في ارجوزته وشعره اللذين يمدح الناصر فيها ويذكر انتصاراته :

(١) المثري ٢ : ٧٦٧ ، وطبة اوربة II : ١٠٦

(٢) ابن عذرة ٤ : ٢٦

(٣) كذا في طبة بولاق ، ولعل «الموتر» تصحيف «الموتد» راجع الطبعة الازهرية ٣ :

٢٠٦ : اما عمرو فصواجا : عمر

(٤) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦١

مات التفاق واعطى الكفر ذمته ، وذلت الميل الجأماً وأسراجا .
ادخلت في فبة الاسلام مارقة اخرجتها من ديار الشرك اراجا .
غادرت في عنق جيان ملحمة ابكيت منها بارض الشرك اغلاجا . (١)
يقال ايضاً :

ومن اباد الكفر والتفقاء ، وشرّد النتنه والشافقا . (٢)

وقال في خبر اول غزاة :

ولم يزل حتى اتجى جيانا ، فلم يدع بارضها شيطانا .
ولم يدع مريه والجزيره ، حتى كوى اكليها الحريره
فمايقن الحقرير ، عندذاك ، ان لا بقاء برنجي هناك . (٣)

وقال في خبر غزاة سنة ٣٠٦ :

ثم اقاد الله من اعدائه واحكم النصر لاوليائه .
الى ان يقول عن الناصر ويسميه بالامام :

ان احتسى للواحد القهار وفاض من غيظ على الكفار (٤)
ويقول في خبر الغزاة نفسها عن اعداء الخليفة :

فقابل اللج لهم مفيشا ، يوم الخميس ، سرعاً حيناء
بين يديه الرجل والفوارس وحوله الصابان والنراقس .

ثم يقول :

فماز حزب الله بالمجان ، وانخرمت بطانة الشيطان .

ثم يذكر خبر قائدين من جيش النصارى ، ويرتكب خطأ فاشاً في زعمه
انها اقسما بالهمة وثنية :

فاقما باليجت والطاغوت لا يجزما دون لقاء الموت . (٥)

وامله كان يعلم ان النصارى لا تقسم بيا ، انا قصد ذكر هذا تحقيراً لها
والدينها .

ويقول في خبر غزاة بلده :

فاذنت ولم تكن بمذمه ، واستلمت كافره لومته .

فقدت كفارها لليف ، وقتلوا بالحق لا باليف . (٦)

(٢) ابن عبد ربه ٢: ٢٦٤

(١) ابن عبد ربه ٢: ٢٦٣

(٤) // // ٢: ٢٦٧

(٣) ابن عبد ربه ٢: ٢٦٦

(٦) // // ٢: ٢٦٩

(٥) // // ٢: ٢٦٨

ويستمر على هذا النحو من الكلام في كثير من المواضع في ارجوزته ،
حتى يقول في غزوة سنة ٣١٢ وفتح بابلونه :

فكم جا وحولنا من الغنم جسي عليه دمع بين الاسفند !
وكم جا نزا من كنانس بدلت الاذان بالترانس !
يكري لنا الناقوس والصليب كلالا فرض له النجيب . (١)

ويقول في موضع آخر :

عصابة من شيمة الشيطان ، عدوة ش والساطان ،
فحزمت اجسادها تحزما واصليت ارواحها جهنما . (٢)

ويقول في غزوة سنة ٣٢٠ :

صبرا الى المدينة اللينة اتسها الرحمن من مدينه !
مدينة الشناق والفساق ، رسرهد الفساق والمرانق . (٣)

وينتهي من ارجوزته بقوله :

ثم نثي الامام من شناته ، وقد شفى الشجي من اشجانته .
رامن القفار من ايسها ، وطير البلاد من ارجاسها . (٤)

نظرة كمولي للعرب

في العقد كتاب هو «التيمة في النسب وقضائل العرب» ذكر فيه ابن
عبد ربه نسب قبائل العرب ، واورد باباً في فضلها أتى فيه على اقوال كثير من
الناس من عرب وموال ، وقد كادوا يجمعون على الشهادة بفضل العرب . وبعد
ان يفرغ ابن عبد ربه من ذكر انساب العرب من شماليين وجنوبيين ، يدون
وأبي الشعوبية - اهل التسوية - وحيجتهم في انهم متساوون مع العرب ،
واستنادهم الى احاديث نبوية يقرنونها الى آيات من القرآن في معناها . قال :

«ومن حجة الشعوبية على العرب ان قالت انا ذعينا الى العدل والتسوية وان النار
آلمهم من طينة واحدة رسالة رجل واحد واحنجننا بقول النبي عليه الصلاة والسلام :
«المؤمنون اخوة تتكافأ دماءهم ويسى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم» وقوله في حجة

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٥

(٤) // // ٢ : ٢٧٨

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٢

(٣) // // ٣ : ٢٧٦

لوداع ، وهي خطبته التي وُذِعَ فيها اسمه وخزَنَ نبوته : « اجبا الناس ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وفضحها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لربي علي عجمي فضل الا بالتقوى »^١ وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقول الله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١) فايتم الافخراً وقلتم لا تاوينا .^٢

ثم يعقب ابن عبد ربه هذه الاحاديث وما يوافقها من القرآن باقوال الشعوبية في تبيان مآثرهم ومفاخرهم وعلومهم وذمهم للعرب . ثم يعود فيورد رد ابن قتيبة عليهم ، ويعقبه برد الشعوبية على ابن قتيبة^٣ . ولا يفوته ان يرمي دلوهُ بين الدلاء فيقول :

« وما رأيت اعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كل ما بين في اوله ، فقال في أمر كلامه واعدل القول عندي ان الناس ككاهن لآب وام خلفوا من تراب واعبدوا ان التراب . . . فهذا نسيم الاعلى الذي يردع به اهل العقول عن التظيم والكبرياء والافتخر بالآباء . ثم الى الله مرجعهم فنقطع الانساب وتبطل الاحساب ، الا من كان حسبه التقوى او كانت مائته طاعة الله . »^٤

ولم نَر في كل ما اورد ابن عبد ربه في باب الشعوبية (اهل النسوة) واقوالهم ، ورد ابن قتيبة عليهم وتعليقه عليه ، ما يبين شيئاً صريحاً من وجهة نظر ابن عبد ربه في الامر . وجل ما نستطيع الجزم فيه هو انه يتقد مناقضة ابن قتيبة نفسه في . . . آلة تفضيل العرب على سواهم ليس الا .

ويذكر ابن عبد ربه فصلاً في الكتاب نفسه في المتهنئين للعرب التي في آخره على قصة لا بأس في ان نودها هنا ، لعل فيها ما يشير الى شيء من هذه الناحية في نفس ابن عبد ربه ، قال :

« قال ابن ابي ليلى : قال لي عيسى بن موسى ، وكان دياناً شديداً مصيباً : من كان قتيبة البصرة ؟ قلت : الحسن بن ابي الحسن ، قال : ثم من ؟ قلت : محمد بن سيرين ، قال : فما هما ؟ قلت : موليان .

(١) القرآن : ٦٩ : [المحجرات] ١٢ « يا أَيُّهَا النَّاسُ انا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُرُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا انْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . »

(٢) ابن عبد ربه ٢ : ٨٥

(٣) ابن عبد ربه ٢ : ٨٩ - ٩٠

(٤) ابن عبد ربه ٢ : ٨٥ - ٨٦

قال: «إن كان فيه مكة؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وسليمان بن يسار. قال: «ذا هؤلاء؟ قلت: موال أقال: «فإن فقهاء المدينة؟ قلت: زيد بن أسلم، ومحمد بن الحَكَم، ونافع بن أبي نعيم، قال: «ذا هؤلاء؟ قلت: موال: «فتتبر لونه، ثم قال: «فإن أئمة أهل قباة؟ قلت: ربيعة الرأي، وابن أبي الزناد أقال: «ذا كذا؟ قلت: من الموال أقال: «فإن أئمة وجهه، ثم قال: «فإن كان فيه اليمن؟ قلت: ظالم، وابنه، وابن شبة أقال: «فا هؤلاء؟ قلت: من الموال أقال: «فإن فتح أوداجه فانتصب قاعدًا أقال: «فإن كان فيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبيد الله الحِمْيَرِيّ؟ قلت: «ذا كان عطاء هذا؟ قلت: مولى أقال: «فإن وجهه تبيدًا وأسرده أسودًا حتى خفته، ثم قال: «فإن كان فيه أهل الشام؟ قلت: مكحول أقال: «فإن كان مكحول هذا؟ قلت: مولى أقال فتنفس الصعداء، ثم قال: «فإن كان فيه الكوفة؟ (قال) فوالله لولا خوفه لقلت الحكم بن عتيبة وعمار بن أبي سليمان، ولكن رأيت فيه الشر فقلت إبراهيم، والشبي أقال: «ذا كذا؟ قلت: عريان أقال: «الله أكبر! وسكن جأث.» (١)

ويحتم ابن عبد ربه كتابه هذا في النسب بنجر عن اعرابي دخل على سوار القاضي فقال:

«إن أبي مات وتركني وأخًا لي، وخط خطين؛ ثم قال: وهجيتا، ثم خط خطأ ناحية، فكيف يسم المال؟ فقال له سوار: «هنا وارث غيرك؟ قال: لا! قال: فلماذا ينسبكم اثلاثًا؟ فقال: «ما أحببت فهمت عني؛ إنه تركني وأخي وهجيتا فكيف يأخذ المجيب كما أخذ أنا وكما يأخذ أخي؟ قال: «أجل! فنضب الاعرابي.» (٢)

وروي في كتاب الياقوتة في العلم والادب قال:

«قال المسن: حدثني أبي قال: «أمر الحجاج أن لا يؤم بالكوفة الا عربي. وكان يحيى بن وثاب يؤم قومه بني أسد، وهو مولى لم، فقالوا: «أهتل. فقال ليس عن مثلي خص، أنا لاحق بالعرب. فأبوا. قال الحجاج: «فقرأ. فقال: «من هذا؟ فقالوا: يحيى بن وثاب. قال: «ما له؟ قال: «أمرت أن لا يؤم الا عربي ففتحاه قومه. فقال: «ليس عن مثل هذا نصبت، بصلي جهم. (قال) فصل جهم الفجر، والظهر، والمصر، والمغرب، والمشاء، ثم قال: «اطلبوا امامًا غيبي إذا أردت أن لا تتذلوني. فاما إذا صار الامر اليّ فانا لا اؤسكم، ولا اكرامة.» (٣)

ومع انه قد يشتم شيء من ميل ابن عبد ربه الى تسوية المولى بالعربي فانا لا نستطيع ان نجزم بالامر، لاسيا وان ابن عبد ربه في اكثر هذه المواضع ناقل راوٍ ليس الا. ولعل نظر العرب في الاتدلس كان يختلف عن نظر العرب في المشرق الى الموال، من حيث المترلة في الهيئة الاجتماعية.

(٢) ابن عبد ربه ٢: ١٣

(١) ابن عبد ربه ٢: ١١

(٣) ٢: ٧٠

بعض نواحي خلفه وأثرها في العصر

عدم استنكافه عن ذكر بذي، اللفظ وسافل المعنى

وربما من الخير ان نشير هنا الى ما المعنا اليه ، عند بحثنا عن حياة ابن عبد ربه ، من امر وصف خلقه من بعض النواحي . اورد المقرئ قصة عن ابن عبد ربه وابي محمد يحيى القلظا الشاعر ، اتى بها شاهداً على سرعة جواب اهل الاندلس نسكت عن ذكرها لما فيها من بذي. اللفظ بيديه كل من ابن عبد ربه وصاحبه هذا الذي كان يناظره . ويظهر من هذه القصة ان ابن عبد ربه لم يكن جميل الوجه والقامة ، بل كان آدر يدرم في مشيه ، فاتحاً بين ساقيه ، وكان اطلس اللحية ، وان القلظا هزأ به ، ووصفه بصفة نسكت عن ذكرها . فاجابه ابن عبد ربه بما هو اقذع وامر . وقد ما كان بينهما من روابط الصداقة والمحبة ، فصنع القلظا قصيدة في هجائه اولها :

يا عرس احمد اتي مزعم سفا فودعني مرأ من ابي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك . واتفق اجتماعهما عند بعض الوزراء . فسأل عن حالهما فبدأ القلظا مرتجلاً في هجو صاحبه ، وما ان اكل البيت الاول حتى يدره ابن عبد ربه بيت قاله مرتجلاً ايضاً على البحر والقافية ذاتها ، وهو غاية القصة صب فيه جام هجوه مرأ اقذع اشد الاقذاع ، وابدى اسفل معنى . فانقطع القلظا خجلاً^(١) .

وترى اثر هذه الناحية من خلق ابن عبد ربه في عدم استنكافه عن ايراد الاخبار في عقده مما يطلب فيها بذي. اللفظ وسافل المعنى . وليس بلانق ان تذكر هنا هذه القصص ، فليراجع بعضها في مواضعها التالية^(٢)

ميله للتعرض للغير

ولعل القارئ قد لمس شيئاً من ميل ابن عبد ربه للتعرض لكثير من

(١) المقرئ ٢ : ٨٢٢-٨٢٢

(٢) ابن عبد ربه ٢ : ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٥٦ ؛ ٣ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٥ ، ٤٢٥ و ٤٣٠ و ٤٣٤

الذين اخذ عنهم شيء من الانتقاد . فلقد اخذ عن ابن قتيبة كثيراً مما كتبه في مولفاته ونقله الى عقده . غير انه لم يفته ان ينتقده وينمى عليه بعض مواضعه كأن يقول مثلاً : « ولم أر اعجب من ابن قتيبة في كتابه تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب . ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كل ما بنى في اوله . »^(١) كذلك انتقد رأي ابن قتيبة في الاشربة وعنون انتقاده هذا بقوله : « مناقضة ابن قتيبة في الاشربة . » ثم ذكر ما يراه ابن قتيبة في الامر ، وردّ عليه بقوله : « وهذا الشاهد الذي استشهد به (يعني ابن قتيبة) ... شاهد عليه لا شاهد له لان الناس . . . الخ »^(٢) وردّ عليه في موضع آخر في الباب نفسه^(٣) . وعارضه في موضع آخر ، قال : « قال ابن قتيبة لم يقل في التواضع بيت ابداع من قول الشاعر في بعض خلفاء بني امية^(٤)
يفضي حيا ، ويفضي من هابته فلا يكلم الا حين يتم
واحسن منه عندي . . . »^(٥)

وتعرض للبرد عند ذكره بعض ما اخذه عنه ، وذمه ، وندد بما جمعه في الروضة وهزأ به ، وقال :

« ان المبرد لم يختر لكل شاعر الا ابردا ما وجد له حتى اتى الى الحسن بن هاني ، وقلا يأتي له بيت ضيف لرفة فظنته وسبوطة بنيتة وعذوبة الناظفة ، فاستخرج له من البرد اياتاً ما سمعناها ولا رويناها ولا ندري من ابن وقع عليها . . . وجل اشارته الحمريات بدية لا نظير لما فحظرت بما كلها وتمطأها الى التي جانسته في برده فا احسب لحقه هذا الاسم المبرد الا لبرده . وقد تمجرت لابي الناهية اشارة تقتل من بردها وشنفها وقرظها بكلامه فقال ومن شر ابي الناهية المستظرف عند الظرفاء المتخير عند الملقاة . قوله :

يا قرة العين كيف اميت اعزز طيننا بما تشكيت

وقوله :

آه من وجدي وكربي آه من لوعة حي

(٢) ابن عبد ربه ٤٠٦:٣

(١) ابن عبد ربه ٨٩:٣

(٣) ابن عبد ربه ٤٠٦:٣

(٤) المشهور ان هذا البيت من قصيدة للقرظدي في الامام زين العابدين . والنريب ابن عبد ربه لم يلتفت الى هذا الامر ولم ينتقد ابن قتيبة فيه

(٥) ابن عبد ربه ١٥:١

ما اشدَّ الحَبَّ بآسِجَانِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي. (١)

وانتقد سيويه في استمهاده بيئتين في كتابه اورد قافيتيهما منصوبتين وخطاه . ثم قال في آخر كلامه : « فإ كان يضطر سيويه ان ينصبها ويحتال على اعرايها بهذه الحيلة الضعيفة. »^(٢) وخطأ المبرد ايضاً في شرحه امراً بالمرضع نفسه .

ولقد تعرض ايضاً لكثير من الاشخاص الذين اورد بعض الاخبار عنهم . وقد قال في الامراة التي شكت في صلاح عروة بن اذينة : « كذبت عدوة الله . عليها لعنة الله . بل لم يكن مرأياً ولكنه كان مصدوراً فنفت. »^(٣) كذلك زراه عند ذكره خبر مير مسلم بن عقبة المرثي الى المدينة ، ودخوله اليها ، وتغلبه على اهلها ، يقول في آخر هذا الخبر « ومات مسلم بن عقبة ، لا رحمه الله . ومضى حصين بن غير يجيشه ذلك فلم يزل محاصراً لاهل مكة حتى مات يزيد لا رحمه الله. »^(٤)

وتعرض للمختار فقال عنه : « ولم يكن صادق النية ولا صحيح المذهب . وانما اراد ان يتأصل الناس فلما ادرك بيئته ، اظهر للناس قبح نيته. »^(٥) ولولمه بالتعرض والتقد اكثر من الروايات التي فيها ذكر لما أخذ على الشعراء من الاخطاء ، وافرد لها باباً خاصاً^(٦) . ووضع باباً آخر لما غلط فيه على الشعراء .^(٧) وانتقد فيه هؤلاء الذين لم ينصفوا الشعراء بقوله « واكثر ما ادرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن . ولكن اصحاب اللغة لا ينصفونهم وربما غلطوا عليهم وتأولوا غير معانيهم التي ذهبوا اليها . »^(٨)

وافرد باباً للرقائق من الشعر لم يفته ان يستهله بالتعرض لاكثر الناس قال : « وقد جبل اكثر الناس على سوء الاختيار وقلة التحصيل ، مع لوم القرائز وضعف المهم . وقل من يختار من الصنائع ارفعها ويطلب من المعلوم انفعها. »^(٩)

(٢) ابن عبد ربه ٣: ١٧١

(٣) // // ٢: ٢١٢

(٤) // // ٣: ١٥٥-١٦٢

(٥) // // ٣: ١٧١

(١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٨

(٣) // // ٣: ١٢٦

(٥) // // ٢: ٢١٩

(٧) // // ٣: ١٧١

(٩) // // ٣: ٢٦٨

وذكر في الباب نفسه - ومن الخير ان نشير الى انه سُمي الباب باباً من الرقائق ، وهو بالواقع انتقاد الذين ما فرقوا بنظره بين الرقائق من الشعر وضميفه ، اورد في الباب نفسه - نكرر القول - ما يشف عن طبعه هذا الذي نصف ، قال :

« ونظير هذا من سوء الاختيار ما تخبره اهل الحلق بالنساء والصانعون للامان من الشعر القديم والحديث ، فانهم تركوا منه الذي هو ارق من الماء وامنى من رقة الهواء وكل مدني رقيق قد غذي به العقيق وغشوا بقول الشاعر :

فلا انسى حياتي ، ما عيبت الله لي رباً ،
وقلت لها : انيليني ، فقالت : تعرف الذنبا ،
ولو تعلم ما بي لم تر الذنبا ولا العنبا .

واقبل ما كان يجب في هذا الشعر ان يضرب قائله خمسة ، وصانه اربعة ، والمغني به ثلثاته ، والمصنف اليه مائتين . » (١)

ويرى القاري ايضاً باباً آخر في العقد عنوانه المؤلف بـ « ما يعاب من الشعر وليس بهيب »^(٢) وذكر فيه اخباراً كثيرة من هذا النوع انتقد فيها الذين عابوا هذه الاشعار ، منها ما يشف ايضاً عن طبعه هذا وولمه بالانتقاد قال :
« وما عيب من الشعراء - وليس بهيب ما يروي عن مروان بن الحكم انه قال لخالد ابن يزيد بن معاوية وقد استنشه من شعره فانشده :

فلو بقيت خلافت آل حرب ولم يلبسهم الدهر المتونا
لاصبح ماء اهل الارض عذبا واصبح لحم دنياهم سينا

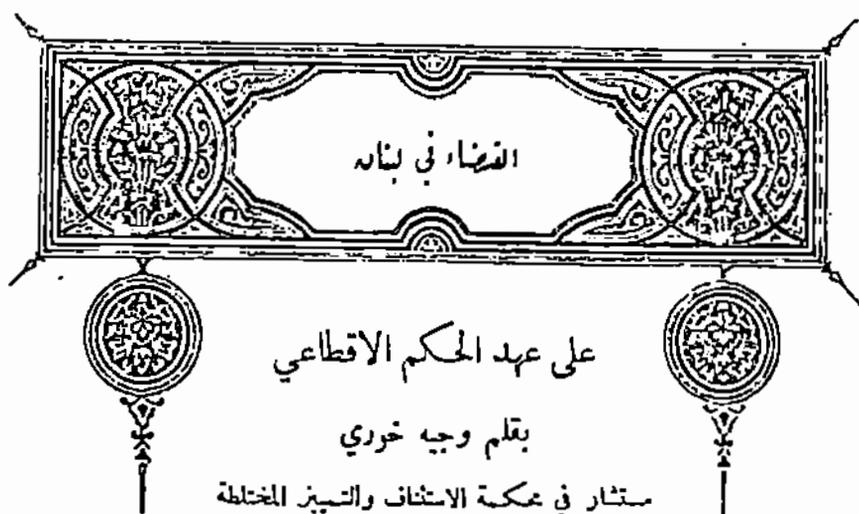
فقال له مروان : متونا وسينا والله اخا الفافية ما اضطررك اليها الا العجز . وهذا مما لا عجز فيه ولا عابه احد في قوافي الشعر . وما ارى العيب فيه الا على من رآه عيباً . » (٣)

وان القاري يشعر بروح ابن عبد ربه هذه في كل تعليق يعلقه على اخبار هذا الباب . وتعرض ايضاً لابي النجم الراجز وخطاه في موضع في وصف الخيل^(٤) وخطأ روبة ايضاً في الموضع نفسه (٦٤:١) وتعرض لكثير من هؤلاء الذين اولوا بعض آيات القرآن على ما لا يروق له فخطأهم في التأويل .^(٥) وكذلك تراه

(١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٦ (٢) ابن عبد ربه ٣: ١٤٤

(٣) كذا ، ولعلها من الشعر (٤) ابن عبد ربه ٣: ١٤٥

(٥) ابن عبد ربه ١: ٦٤ (٦) ابن عبد ربه ٣: ٢٢٢



لم يكن هنالك اصول محاكمات منظمة . ولكن القضاة كانوا ، في مواد الحق المدني ، يصدرون احكاماً مألوفة تعليلاً مختصراً . وكثير من هذه الاحكام يدل على علم منثبها وعدهم . وكانت طريقة الاسراء والمشايع في اصدار احكامهم تشبه الطريقة التي كان يلجأ اليها القديس لوس ، قاضي فانسين الاكبر .

اقد كان الزعيم او الشيخ يعيش بين افراد رعيته ، ويقف على حاجاتهم ومظالمهم وشؤونهم الخاصة فيحكم بروح الوالد الحرص على مصالحهم . وكان المتقاضون يفدون على داره لحمل مظالمهم .

واننا لنجد في هذه المظاهر ذاك المزيج بين التقاليد الفرنسية الاقطاعية وعادات القبائل العربية ، وهو ما اشرت اليه في مستهل الكلام .

وفي حديث الاب ازايس عن زيارته للامير حيدر ابي اللع ، سنة ١٨٥٨ — وهو اول قائم مقام مسيحي خلف الاسراء الشهابيين — تصوير صادق لحالة الادارة في ذلك العهد . اجل ان هذا الامير كان موظفاً تابعاً للسلطة التركية ، ولكنه كان يقتني آثار اسلافه في طريقة حكمه .

يقول الاب ازايس : « ليس على قصر الامير مسحة الامارة فلا تجذب فيه مظاهر الترف والبذخ والزخرفة الشرقية التي كان يمتاز بها قصر سلفه الامير

بشير . حتى انك لتحسب ذلك المنزل مكاناً لـاحد افراد الرعية لا لحاكم لبنان .
تدخل الدار فتجتاز ساحة فيها بعض الخيول العربية ، ثم تصعد سلماً عريضاً
تفد منه الى سطح عالٍ منبسط امام المنزل . على هذا السطح يجلس الامير
بتواضع على مقعد من الحجر ، في حلقة من مشايخ الجبل يستمع الى مظالم
الناس . ويحيط بالامير كـتـبة يحلون على ارساطهم تلك الدواة النحاسية الطويلة
التي لا تقارق المتأدب العربي . فيقرأ له بعضهم الرائض المقدمة اليه ، والبعض
الآخر يطلعه على الاجوبة التي نظمها . فيقرأها الامير ثم يوقع عليها بخطه .

« وان مشهد هذا الامير الجالس بين رعاياه بلا زهو ولا بهرجة ليذكركني
باقـدس ملوك فرنسة القديس لوس الذي كان يصدر احكامه في ظلّ السنيانة ،
بعد ان يسمح للمتقاضين ببثه شكاويهم . »

اما طرق الـاثبات والـيـتـنـات فان الاحكام الموجودة لدينا تظهر انها كانت
تستند الى الاقرار ، والشهادة ، والـيـسـن ، والكشف . وهي ، على وجه التقريب ،
الطرق الثبوتية المستعملة في قوانيننا الحديثة .

وما هي القوانين التي كانت تطبق في لبنان ؟

ان العهد الذي ندرس قضاءه يتاز بعدم وجود اي قانون مكتوب . فقد
كانت كل طائفة تستقل نوعاً ما بقضاها وقضاها . وكان القضاء غالباً من رجال
الدين يحكمون حسب العرف والعادة والتقاليد المليية . وعليه يجب التمييز
بين قضاء الطوائف المسيحية وقضاء الطائفة الدرزية .

ولم يبدأ الشرع الاسلامي بالانتشار الا في مستهل القرن التاسع عشر ،
خلافاً لما يمتد البعض . فان الامير بشير واجه في هذا العهد صعوبات داخلية
جمة ، فادخل نظام القاضي المنفرد ، اما استرضاء للاتراك وقد كان في حاجة الى
معونتهم ، او رغبة منه في توحيد التشريع في البلاد . وحتم على القضاة ان
يطبقوا مبادئ الشرع على احكامهم ، اذا كانت هذه المبادئ لا تظهر مخالفة
لروح التقاليد المحلية .

وكان المسيحيون ، قبل ذلك العهد ، يطبقون عاداتهم . وقد يلجأون الى
قانون يوستينانوس في بعض الاحيان . وكنوا يلجأون اكثر من ذلك الى « مختصر

الشريعة المسيحية» ، وستقول كلمة عنه فيما بعد .
وهكذا فان قرار القسمة بين الشيخين مشرف وانطون الحازن الذي
تكلمنا عنه يستند الى مختصر الشريعة المسيحية في ما خص الوصاية ، والى قانون
يوسينيانوس في التصرف باملاك القاصر ، والى التقاليد المحلية في الفائدة .
وكان الاساقفة قبل ذلك ، في عهد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ، قد عزموا
على تدوين قانون خاص يحتوي على المبادئ القانونية التي يجب عليهم التقيد بها
في احكامهم . وان لم يكن هذا المشروع قد خرج الى حيز الوجود ، فسبب
ذلك ان القضاة اكتفوا بموجب أنه المطران عبد الله قرألي وهو « مختصر
الشريعة المسيحية » المذكور ، وفيه درس مفصل لا يمكننا الاحاطة به في هذا
المقال .

ويذهب الاب زيادة الى ان هذا المختصر هو موجز عن كتاب عنوانه
« الناموس » ألّفه سنة ١٠٥٨ المطران دارد للطائفة المارونية في لبنان ، واستند
مبادئه من الكتاب الروماني - الوردى الذي جمع بين دفتيه شرائع الرومانية
الشائعة قديماً في سورية . اما مختصر الشريعة المسيحية هذا فهو قانون مدني يتألف
من اثنين وثلاثين باباً ويبحث في وظيفة القاضي ، والشهود ، والاقرار ، والهبة ،
والقرض ، والرهن ، وضمان المال ، وكفالة النفس ، والعارية ، والوديعة ،
والوكالة ، والمبايعات ، والحوالة ، والشرعة ، والمضاربة ، والاكراه والعصب ،
والشفعة ، والصلح ، والاجارات والحكور ، والطرق والشوارع والازقة ، وفيما
يوجد من ضائع وسائب ، والحجر ، والحرية والبردية ، والعتق ، والوقف ، والحطبة ،
والزيجة ، وحضانة اليتيم وتربيته ، والوصية بالمال ، والوصي ، والمراث ، وجناية
البهائم ، وعتوبات المعتدين على وصايا الله وشرعته ، حتى يمكننا القول ان هذا
القانون قريب الى الكمال .

وقد ذكرت في مستهل المقال ان القوانين المكتوبة والصادرة عن السلطة
التشريعية لم يكن لها من اثر في البلاد ، اذ بالاحرى بين الطوائف المسيحية .
فكان «مختصر الشريعة» هذا دليلاً يسترشد به القضاة وان لم يطبقوه بمجذافيه .
وانما كان القضاة يسترشدون ايضاً من شرائع يوسينيانوس ، ومن الشريعة

الاسلامية ، العرف والعادة . وهكذا فان مختصر الشريعة كان يخول البنت حق الارث اما التقليد الرومانية السريانية فقد كانت تحرمهن من الارث . وقد بقيت هذه الميزة للرجل على المرأة حتى ايماننا في سورية فقد تعمد السوريون ان يحرموا بناتهم من الارث . وقد احتج موازنة كسروان سنة ١٨١٦ الى الامير بشير حين بدأ القضاء بتطبيق الشريعة الاسلامية ، خصوصاً في وراثة البنات ، وهذا نص احتجاجهم :

« الداعي لتحريره »

مر ان نحن المدونون اسامينا ادناه امالي كسروان كهنة واعوام بما ان العادة الدارجة في بلادنا من هل قدر زمان غير معروف في عدم توريث البنات وذلك لاجل اسباب صوابية لم يكن للبنات حق في الميراث مع وجود المصعب وهذه العادة لم تسلك قط بيننا واثبتنا جناب افندينا الامير يوسف والآن اذ كان هذا السياج الفاصدين البيض خرقة وملاشاته تصدم بذلك صالحهم المصومي وغير مبالين في وقوع المصام والمداوات المزمع حدوثها بين جمهورتنا فلاجل حم هذه المنازعات واستدامة الالفة والمحبة مع بعضنا نظهر ونعلن ان هذا امر قصدنا وغاية مرغوبنا ان تشر هذه العادة جارية فيما بيننا حسب عادتنا القديمة واما لاجل خلاص ذمتنا مع بناتنا في حين زواجهن فطبع سهن جهاز يوازي استحقاقهن ولذلك نرجوا من بحر مراحم سعادة افندينا ولي التمس ايده الله تالي اشهار خاطره الشريف بان يكون سلوكنا حسب عرايدنا لكون عفتنا من غير ريب ان ليس لنا راحة ولا صالح الا جذة الواسطة وعلى ذلك قد تم رضا جمهورتنا بخاطرنا ونقام ورضانا وارادتنا واختيارنا وحررنا هذا السند لاجل البيان صح سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٦)

وعلى اثر هذا الاحتجاج اصدر الامير امراً بابقاء العادة المشار اليها .

وفي سنة ١٨٢٦ عرض البطريرك يوسف حبيش القضية على رومة ، وكان سلفه البطريرك يوسف تيان قد سأل الكرسي البابوي هل يتحم على المسيحيين الخضوع للشريعة الاسلامية ، فاجيب انه يقتضي تطبيق الشريعة الاسلامية في المواضع التي لا تنافي الاخلاق العامة .

وبين التقاليد المسيحية التي تخالف نصوص الشرع تخويل المسيحيين الحق بأن يتصرفوا بكل ما يملكون في وصيتهم . اما الشرع الاسلامي فلا يسمح بالتصرف باكثر من ثلث التركة . وفي الارث كان مقبولاً عندهم انه يحق للابن ان ينوب عن والده المتوفى في حصته من الارث .

وكثيراً ما كان القضاة المسيحيون ، قبل تسرب الشريعة الاسلامية رسمياً الى لبنان ، يبتون احكامهم على هذه الشريعة نفسها التي تيطرت في هذه البلاد شيئاً فشيئاً ، وذلك ان لبنان كان محاطاً ببلدان لا تعرف الا الشريعة الاسلامية ، وكان كثير من اهاليه يخضون لنصوصها .

ثم ان عدم تطلّع القضاة من العلوم القانونية ساعد على انتشار الشريعة الاسلامية . فقد كان يعرض عليهم قضايا لا يجدون لها حلاً في التقاليد المحلية ، او في موجزات القانون الروماني ، فيلجأون الى الشرايح المسلمين ومؤلفاتهم في متناولهم . وكان الدرودز يتقيدون بنصوص الشريعة الاسلامية على الغالب . ولكنهم كانوا في امور عديدة يسيرون على تقاليد خاصة بهم ، ويطبقونها حتى في المواضع التي تخالف الشرائع الاسلامية . فغالب عندهم من الحق بان يوصي بجميع ما يملكه الى احد اولاده ، اذا كان قد حصل على ثروته بنفسه . اما اذا كانت قد اتصلت اليه بالارث ، فعليه ان يتقيد بمبادئ الشرع . ولا يحق للمرأة المتروجة ان ترث اهلهما ، ولا لهؤلاء ان يكونوا وارثين لها وهكذا فان هنالك شهاً كثيراً بين التقاليد الدرزية والتقاليد المسيحية .

اما قانون الاراضي فقد سار اللبنانيون في تطبيقه على المبادئ الحديثة اذ انه كان للمالك من الحق بان يبيع املاكه ويتصرف بها بالصورة التي يريد . وفي البلاد التي احتلها الاسلام كان النظام غيره في لبنان . فقد كانت الاراضي تقدم خمسة اقسام : (١) الارض « الملك » وكانت خاضعة لضريبة الاعشار او الحراج . (٢) الارض « الموات » وهي البعيدة عن البلدان الاهلة والتي لم تكن ملكاً لاحد . (٣) الارض « المشاع » التي تملكها الجماعات والقرى . (٤) اراضي « الوقف » الخاصة بالمؤسسات الدينية او المنافع العامة . (٥) الاراضي « الاميرية » وهي التي كان يملكها السلطان ويترك ريعها ومنعتها للاهالي .

اما في لبنان فلم يكن هنالك الا فئة واحدة من الاراضي هي اراضي الملك . اما الاراضي المدعوة « البكالك » والتي كانت ملكاً للحكومة ، فليس من شبه بينها وبين الاراضي الاميرية . ففي املاك وورثتها . امرام الجبل عن الاسباد الاتطاعيين او صادرها من بعض الرعاة . المغضوب عليهم . وقد كانت

عائلاتها تصرف في سبيل الرعاع. التابعين للامير وحاشيتهم ، عند حلول الامير ضيفاً عليهم ، حسبما جاء في القرار الصادر من مجلس ادارة لبنان بتاريخ ٧ تشرين الاول سنة ١٢٨٨ . وقد دام هذا التنظيم القضائي حتى عام ١٨٤٥ . ففي هذا التاريخ وضع لبنان تحت اشراف تركية المباشر . وسأتي ، فيما يلي ، على ذكر النظام القضائي في ذلك العهد . ولكن قبل ان نتطرق الى درس هذا النظام ارى من واجبي اظهار الصبغة التي كان يصطبغ بها التنظيم الذي درسنه لان هذه المسحة راققت التشكيل القضائي ، على اختلاف الحكومات ، وبقي لها بعض الاثر في قضائنا الحاضر .

لقد كان القضاء في هذا العهد قضاء دينياً . وكانت البلاد طوائف متعددة لكل منها قضاة من ابنائها ، يطبقون ، مع الشرائع الدينية ، تقاليد طائفتهم الخاصة . ثم ان القضاء كان ارستوقراطياً . اذ كان للشايخ والامراء وجدهم الحق بالنقل في القضايا الجزائية . وعدا ذلك فان الامير كان المرجع الاستئنافي الوحيد ، اي ان القضاء والادارة لم يكونا منفصلين . ثم ان القضاء كان سهلاً لا يخضع لقواعد واصول في المحاكمات . ولقد يوجب البعض ان يكفي لبنان ، لثلاثة سنين خلت ، بمثل هذا القضاء . ولكن يجب ان لا يغيب عنا ان لبنان منذ مائة عام لم يكن مثله في القرن العشرين . ولا نحب ان بلداً خطى كلبنان هذه الخطوات السريعة خلال هذه المدة القصيرة من التاريخ ، فلم يقتصر الرقي على الحالة الاقتصادية والتجارة ، ومظهر المدن والقرى الخارجية ، ولكنه تناول الاخلاق العامة والمعادن . فان اللبنانيين في القرن الماضي ، حافظوا على تقاليدهم العائلية القديمة ، فكانوا يعنون وقيمهم على الاهتمام باعمالهم اليومية ، واكثرها زراعية ، ولم يكونوا يجدون راحة لهم ولذة الا في الحياة العائلية المادنة . وكان ايمانهم الديني وعاطفتهم الوطنية صادقين في جميع الظروف .

وكان كل لبناني يعيش من نتاج اراضيه . ولم تكن التجارة معروفة في الجبل الا نادراً اذ كانت تقام الاسواق في بعض فصول السنة وفي قرى معلومة كسوق النرب مثلاً . فكان القرويون يشترون بأغلال اراضيهم ما يحتاجون اليه ، ولم يكن للبنخ من اثر في منازلهم . اما التجارة الخارجية فلم تكن

واسعة وانما كانت تقام في المدن القليلة.

وكانت بيروت مدينة صغيرة لا يتجاوز سكانها العشرة آلاف، وعليها صيغة المدن الشرقية وقد تمت نظر لامرتين حين دخلها مشهد جموع « العرب » المحتشدين على المرفأ بأزيائهم البراقة واصلحتهم الحربية.

وقد وصف المنازل قائلاً انها تتألف من دهليز يستعملونه مطبخاً، وغرفة ينام فيها افراد العائلة مها بلغ عددهم . وكانت النساء والاولاد يقضون نهارهم وقسماً من الليل على سطح المنزل . ويتابع لامرتين قائلاً ان العائلات الرومية والسورية والعربية التي كانت تقطن هذه المنازل لم تكن على شيء من المهجبة اذ ان افرادها يتازون في الثقافة عن مزارعي فرنسة ، فهم جميعاً يجنون القراءة والكتابة باللغتين العربية واليونانية . ثم انهم لطفاء وهادئون مجتهدون يقضون الاسبوع في الاعتناء باراضيهم ، او بصناعة الحرير، ويصرفون نهار الاحد مع ذويهم بمشاهدة الحفلات الدينية اليونانية او السرانية . ثم يوردون الى منازلهم فيتناولون طعاماً يتاز عن طعامهم اليومي .

اما الرجال والفتيان فيقضون نهار الاحد في تزهة قرب العين ، ويقبضون الاحاديث والروايات . ثم يتناولون من وقت الى آخر فنجان قهوة او كأساً من الماء التراح . وهذه هي اللذة الطبيعية البرينة التي فقدتها المعاصرون بين ضجيج الحانات ودخان المقاهي .

واليكهم وصف بيروت سنة ١٨٣١ بقلم الاب ريكادونا اليسوعي الذي جاء هذه البلاد لتأسيس الرسالة التي عملت على ترقية البلاد وبعث النهضة القانونية فيها . قال الاب المومي اليه :

« . . . انه ليطول الشرح كثيراً ان اردت ان اخبركم بكل ما لفت نظرنا من التراب عند وصولنا الى هذا العالم الجديد: طيبة شائفة ، وساء متلألئة ، وهواء تبي ، ومناخ لطيف ، وارض يور تظليها الرمال ، وبيوت صخرة تكاد لا ترتفع عن سطح الارض . لا شوارع ، بل ازقة تكاد لا تصلح المرور الجمال . اما السكان فيظهرون بالارضية الراسمة النفاضة الالوان ، وبالهايم الضخمة ، والزنانير العريضة ، والغلابين المتدلية حتى الارض ، وبالكثير من الشراب ، والشرائط ، والريش ، والاقراط المتلصقة بالاذان والانوف والشور ؛ ثم بالناجر والنفذارات . وم يملفون رؤوسهم الاخصلة من الشر في قة الرأس يتركونها حتى

تعطّل جداً. وكذلك يظنون عام وشوارجم التي تلفت الانظار بطولها. وم ابداً عارو
البيضان والاقدام حتى الاغنياء منهم. وفي البلاد كثير من الخيل والجمال . ولكننا لم نصادف
مركبة واحدة ، ولا عجلة ، حتى ولا دولاباً .»

ولقد تداول هل المدينة التي يصفها الكاتب هي بيروت ام احدى قرى
حوران . لان البون شاسع بين بيروت تلك وبيروت في عهدها الحاضر .
ونحن نستطيع ان نرى اثرًا للسذاجة في ماملات اللبنانيين بمضوم مع
بعض فقد كانوا سلمي النية يقدمون الوعد ولا يحلفونه واني انقل اليكم
تعريباً حرفياً لمقد بيع اجري عام ١٨٣٤ :

« بمد نقطة الارض غرباً طاقة المصرة ، وشرقاً الحجر الاصفر . والمبري على الجبيري .»
ولم يكن المتماقدون يتعمون بتنظيم الحدود كما تفعل دوائر الكادسترو
اليوم ، مع انه كان من الممكن نقل الحجر الاصفر ، وازالة طاقة المصرة .
ولكن ما كان مستحيلاً القضاء عليه هو حسن نية المتماقدين وشهادة الجيران .
وذلك كان الضمانة الوحيدة للمالك خلال اجيال عديدة . واليكم صورة تهمد
بالدين (ولم يكن السند معروفاً في ذلك الحين) يرجع تاريخه الى اوائل القرن
التاسع عشر :

« اتانا نظي الى ابن عمنا اثني عشر غرثاً ونصف الغرث وقد تهمدنا بدفها له مع ربح غرث
وربح في الموسم القادم .»

فتكون الفائدة عشرة في المائة وهي ليست بكثيرة . واذا كان اللبنانيون
في ذلك العهد قد لجأوا الى التهمدات الخطية فهم لم يصنعوها بصيغة رسمية .
ولم يعرف مبدأ التسجيل الا في عهد دارد باشا ، متصرف جبل لبنان ، الذي
اصدر سنة ١٨٦٢ امراً يقضي بتسجيل الستدات . وفي عام ١٨٦٩ اصبح تصديق
المحكمة لعقود البيع والرهن محتماً .

فترى ان القضاء والقانون كانا منطبقين على حاجات ذلك العهد . واصلت
دليل على ذلك حالة الرخاء . والكينة التي كان لبنان يتسع بها في ذلك الحين .

(له صلة)

الذكار الثوري لرحلة لامرتين الى الشرق



لامرتين في لبنان وسورية

توز ١٨٣٢ - نيسان ١٨٣٣

يقلم ا. سركيس

نُوطَة

مثل هذا الشهر من سنة ١٨٣٣ ، كان الشاعر الفرنسي الكبير ،
 في القوس دي لامرتين ، ينادر ربوع الشرق الادنى ، موجهاً نظره الى
 اوردية ، بعد ان قضى في سورية ولبنان عشرة اشهر ، كان في خلالها
 موضوعاً لمحبة اهل البلاد واکرام حکامها وامرائها .

فنحن اذن في ختام المثوية الاولى لرحلة لامرتين الى الشرق . ولقد كان
 من المنتظر ان تهتم صحافتنا بالامر فتفيه حقه من البحث ، تجديداً لذكر هذا
 الشاعر العظيم الذي شحن مذكرات رحلته بعواطف الحب والاعجاب ببلادنا
 وطيب هوائها ولطف سكانها ؛ ثم اجتاء لبعض ما اوحاه خياله ودنجنه براعته
 في وصف هذه البلاد وعادات اهلها مما يرجع بنا في الذكر الى عصر اجدادنا ،
 قبل مئة سنة .

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . ومضت السنة الموافقة لاشهر الرحلة ،
 ولم يتكلم احد بالموضوع ، فيما نعلم ؛ اللهم الا بعض الفرنسيين ، واللبنانيين
 المقيمين في باريس^(١) .

(١) علمنا بعد ان اعددنا هذا المقال للطبع ، انه قد تألفت لجنة في باريس ولجنة في
 لبنان للاحتفال بهذه الذكرى في شهري نيسان وايار . وانه سيكون من جملة الحفلات
 التذكارية حفلة كبيرة تُقام في قصر بيت الدين ، حيث ترن الشاعر ضيفاً على الامير بشير
 الثاني . فدرت ان يتحقق امنا ، وان تأخرأ .

لذلك رأينا ان نشر ، على صفحات « المشرق » ، بعض معلومات تعرفنا
بلامرتين ومكانه في عالم الادب ؛ واهم اذوار سياحته في بلادنا ؛ ووصف كتابه
« رحلة الى الشرق » . ثم زدناها بتعريب فصول من هذا الكتاب ، مختارها بما له
فائدة تاريخية او ادبية .

ولم نتعرض ، في كل ذلك ، للابحاث الدينية او السياسية ، لعلنا ان هذه
المنازعات لا تقيد القراء شيئاً ، لاسيما وان كل ما دونه لامرتين من هذا النوع
انما كان شؤوناً ظرفية مضي وقتها . ولا بد من الاشارة الى اننا تبعتا ، في
سرد حوادث الرحلة ووصف اماكنها ، ما دونه لامرتين نفسه في كتابه ، تاركين
تمحيص ذلك وتعليقه وعرضه على محك الانتقاد لمن يسهم الامر .
وعلى كل قلنا الامل الوطيد اننا ارضينا القراء الكرام ، وقتنا ، في خدمة
الادب ، ببعض الواجب .

١

لامرتين

١٨٦٩-١٧٩٠

حياته

في البيت الابوي

الفونس - ماري - لويس برا دي لامرتين . ولد بـ كراً لست اخوات ، في
٢١ تشرين الاول من سنة ١٧٩٠ ، في بلدة ماكون (Mâcon) الواقعة على نهر
الـصون (Saône) ، شرقي فرنسا .

اما ابوه فكان سليل اسرة عريقة في النبيل ، مثلاً للصدق والاستقامة .
واما والدته فقد اشتهرت بين نساء عصرها بذكاء العقل ، ورقة القلب ، وحرارة
التفوي فكان لمنايتها واخلاقها هذه تأثير لا ينكر في تثقيف ابنها وتهيئة
نبرغه . ولما كان الفونس الصبي الوحيد لوالديه ، فقد ربياه على الدلال والفتح ،
الامر الذي جعله رقيق الحاشية ، لطيف المزاج .

ولم يبلغ سن السادسة عشرة ، حتى كان قد انهى جميع دروسه في ماهد كبيرة . فعاد الى مآكون ، واقام في البيت الابوي يطالع ، ويتأمل ، ويبيح صروح الآمال العالية ؛ وينظم ، بين حين وآخر ، قصائد على طريقة ذلك العصر : يشوبها التكلف والتلاعب اللفظي ، وتنقصها المعاني الحية المشتركة .

وفي سنة ١٨١٠ زار ايطالية ، بلاد الفن والجمال ؛ فرجع منها حاملاً في مخيلته احساساً قوياً ، ضمه الى شعوره المآكوني الدقيق ، ورقة اخلاقه الطبيعية .

في العالم

اعيد الحكم الملكي الى فرنسا سنة ١٨١٤ ، على اثر سقوط نابليون في ايدي الحلفاء ، واعتلى المرش لويس الثامن عشر البوربوني ؛ فعين لامرتين ضابطاً في فرقة الحرس الملكي .

ولكن ثورة « المئة يوم » وحروبها ابعده عن اعمال الحكومة ؛ فعاش حراً ، تارة في مآكون او باريس ؛ واخرى في الاسفار والسياحات . وكان ، في اثنا سفره الى ايطالية ، قد تعرف الى فتاة تكلم عنها باسم الڤيرا (Elvire) ، واحبها كثيراً ، وكان يرجو ان يتزوجها . بيد ان الموت حال بينه وبين امينته هذه ؛ فشق عليه الامر ، واناض يتبوع شعوره ؛ فاخذ ينظم القصائد الرقيقة ، التي شهرته في اندية باريس ، والتي نشرها سنة ١٨٢٠ بعنوان « التأملات » فنالت رواجاً عظيماً ، وكانت سلم لامرتين الى المجد الادي . حتى ان لويس الثامن عشر ، اظهراً لتقديره نبوغ الشاعر ، عينه كاتماً سر السفارة الفرنسية في فلورنسة . والدودة الفرنسية (L'Académie) انتخبته عضواً عاملاً فيها .

وكانت ثورة سنة ١٨٣٠ ، التي اسقطت عن العرش شارل الماشر ، آخر ملك من فرع السلالة البوربونية البكر . فاستقال لامرتين من منصبه حفظاً لههد مليكه المعزول . وكانت نفسه تنوق الى سياحة في الشرق ؛ فقام بها سنة ١٨٣٢ . ولما عاد منها سنة ١٨٣٣ ، كان قد انتخب عضواً لمجلس النواب . فابتدأت حينئذ حياته الجديدة في السياسة . ولما نشبت ثورة سنة ١٨٤٨ ، التي كان ، بمؤلفاته ، اكبر مساعد على اشعال نارها ، عين وزيراً للخارجية في الجمهورية الاولى ، التي انشئت اذ ذلك .

ولكن اعتلاء لويس نابوليون كرمي رئاسة الجمهورية سنة ١٨٥٠ جعل لامرتين يعقل السياسة نهائياً، ويرجع الى الحياة الادبية التي لم يتركها حتى في ايام اشتغاله في السياسة.

الشيخوخة والفقر

غير ان الجمهور سريعاً ما ينسى تهمته الماضية ا فهر لا ينظر الا الى يومه . ولم يكن الجمهور الفرثي ليحيد عن هذه القاعدة لاجل لامرتين . فان « التأملات » كانت قد تنوسيت ، ونبوغ لامرتين ضعف بحكم الطبيعة . فقل عدد قرائه ، واخذ اسمه بالحمول . حتى دخل في ضيق مالي التزم معه ان يشتغل بالتأليف « الاجباري » ، كما قال هو نفسه ، ايذً ديونه . فكان يترجى القراء . ليشاركوا في طبع كتبه . والحقيقة ان هذه الكتب التي كان يعرضها على القراء لا تليق بشاعر مثله .

وذكرت له الحكومة خدماته السابقة ، فقدمت له رأس مال يساوي خمسمائة الف فرنك لم ينمه ان يقضي شيخوخة قعيرة ، شأن كل اديب لا مورد له سوى نتاج عبقرته .

ومات لامرتين سنة ١٨٦٩ فدفن بكل بساطة في سان - پوان (Saint Point) قرب ماكون ، حيث لا يزال قبره الى اليوم .

آثاره

خلف لامرتين ما يقارب العشرين مؤلفاً ، منها شعر ومنها نثر . ولكن قيمتها تتفاوت تفاوتاً كبيراً .

اما في الشعر فاهم مؤلفاته :

التأملات الاولى (*Les Méditations*) سنة ١٨٢٠ . وفي هذه المجموعة اجمل قصائده ، كالبجيرة (*Le Lac*) ، والوادي (*Le Vallon*) ، والحلوة (*L'Isolément*) ، والمساء (*Le soir*) .

التأملات الجديدة (*Les Nouvelles Méditations*) سنة ١٨٢٣ . ومنها :

الماضي (*Le Pœte mourant*) ، والشاعر على فراش الموت (*Le Poete mourant*) ،
والصلوب (*Le Crucifix*) .

موت سقراط (*La Mort de Socrate*) سنة ١٨٢٤ . نظم فيه قسماً كبيراً
من محادثات سقراط الاخيرة واخبار موته المذكورة في كتاب فيدون (*Phédon*)
لافلاطون .

الانغام الشعرية والدينية (*Les Harmonies poétiques et religieuses*)

سنة ١٨٣٠

الاختلاجات الشعرية (*Les Recueils poétiques*) سنة ١٨٣٩ الخ .
وله ملحتان شعريتان جرت ان ينظم فيهما تاريخ البشرية كما تخيله . فلم
يوفق الى غاية كل التوفيق . لانه ، بعكس هوغو ، لم يُعط موهبة التوسع
في المواضيع الفسيحة الخارجة عنه « فهو لا يعرف ولا يقدر ان يتكلم الا
باسم نفسه . »^١ والملحتان هما جوسلين (*Jocelyn*) (١٨٣٦) ؛ وسقوط ملاك
(*La Chute d'un Ange*) (١٨٣٨) .

اما آثاره الثرية فاهمها واجدورها بالذكر كتاب « الرحلة الى الشرق »
(*L'oyage en Orient*) (١٨٣٥) الذي سنتكلم عنه . وما بقي منها فانما كتبه
لامرتين في اواخر حياته للتكاتب ، مثل تاريخ الجيروندان (*Histoire des*
girondins) في ثمانية مجلدات (١٨٤٢) ؛ ورواية غرازيللا (*Graziella*) ؛
وتاريخ الثورة ، وتاريخ الآداب العموم (*Cours familier de littérature*) . . .
الخ . وكلها لا تليق بعبقريته .

وللامرتين ، عدا ذلك ، خطب وتقاير عديدة القاها في ابان مجده السياسي
من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٤٨ ولكنها لم تشتهر في عالم الادب كما ان صاحبها
لم يشتهر في عالم الادارة . فهو على حد ما قيل فيه : « قيثارة تلحن اتاشيد
الجب ، لاحكيم يدبر دقة السياسة . »

شعره

« ليس لامرتين شاعراً ، بل هو الشعر بعينه ! »

هذه الكلمات الوجيهة حدد فيكتور هوغو شخصية لامرتين الادبية .
ويكفي ان نعرف ما كان عليه الشعر في ذلك العصر ، وما جدّد فيه
لامرتين ، لفهم قوة هذا التحديد وخلوّه من المغالاة الزائفة .
كان القرن الثامن عشر في فرنسا يسمى عصر العلم ، لان الادباء انصرفوا
فيه عن المواضيع النفسية الى الابحاث الفلسفية والطبية . فاخذ الادب بالانحطاط ،
وقلّت فيه العاطفة الحقيقية ، لانه ابتعد عن المصدر الاول ، اي النفس الانسانية
وشواعرها .

ودخل القرن التاسع عشر ، والشعر لم يزل على هذه الطريقة من تكديس
الالفاظ التي لا تدلّ على كثير من المعاني . زد على ذلك ان القوم كانوا خارجين
من عهد ثورة ، وانقلاب سياسي عظيم ، وحروب داخلية وخارجية اودت بالكثير
من الرجال . فكانت النفوس بانتظار شاعر ينشد حالتها التعبة من حزن والم
ورجا . . .

في مثل هذه الحالة ظهرت « تأملات » لامرتين سنة ١٨٢٠ . فاقبل عليها
القرّاء . اقبال المطاش على مورد صافي قريب النال ؛ وطارت شهرة صاحبها في
فرنسة ، ولاسيا في اندية باريس ؛ واصبح المتأدبون ولا همّ لهم سوى الكلام
عن « التأملات » واستظهار قصائدها لنثرها في محادثاتهم ؛ مثل البعيرة ، والحلوة ،
والوادي . . .

والحق ان ميلهم الى هذا الشاعر لم يكن جزافاً . فان لامرتين حقّق اخلام
اهل عصره بما سكبه في شعره البالغ اقصى حدود الرقة من العواطف الانسانية
الصحيحة الصادرة عن ألم صادق ، والتي تبدي بانة اسف ، وتتهيّ بايتامة
الرجاء العذبة .

ولدينا شهادات عديدة تدلّ على ان لامرتين كان ذلك الشاعر الملهم
الذي لحن على اوتار القلب البشري شعور جميع قرانه وعواطفهم . من ذلك ما

كتبته السيدة لامرتين ، أم الشاعر ، وكأنها تكلمت بلسان كل نساء فرنسا :
 « بث اليّ النفوس يمض آيات نظماً ؛ وقد انثرت في كثيرٍ . اسه بتكلمها افكر
 به ، فكانه لاني . نعم الي كثيرًا ما اشعر بالمواقف السامية ؛ ولكنني ارى نفسي خرساً .
 عندما اريد ان اعبر عنها ، حتى فـ . وحينما اتأمل ، يصبح قلبي انثراً كثير الضرام لا يستطيع
 لديه اختلافًا . ولكن افه المصني الي لا يحتاج الي كلابي . فاشكره لانه اعطى لاني ان يتكلم
 بلساني . »

ومما قاله السيد كوفييه (Cuvier) عضو الندوة الفرنسية (l'Académie) :
 « اذا كان احدنا معتزلاً ، طلباً للقرمّة والراحة ، في احدى ساعات الحزن والياس التي
 تستولي احياناً ، حتى على القلوب الجبارة ؛ واتفق له ان يسمع من جسد صرناً وخبياً شجياً
 يتغنى بعواطف تشبه عواطفه ، فانه يشعر بارتياح ويجاذب داخلي ، اذ يحس ان اوتار قلبه
 التي ارخاها الحور عادت الي الاهتزاز . واذا تدرج هذا الصوت الذي يصف آلامه ، فامتزج
 بشي . من الرجاء والتعزية ، فان الحياة تنمش فيه ، فيتعلق قلبه بالصديق المجهول الذي
 رذها اليه ، ويودّ لو يتاح له ان يوضه الي صدره ، ويشكر له كل ما جاد به عليه ؛ ذلك
 كان تأثير لامرتين على النفوس الحساسة ، المسألة لسر الوجود ! » (١)

اما طريقة لامرتين في اكثر تصائده ، التي تميز شخصيته ، فهي ان يتدنى
 بوصف مشهد طبيعي ، او اعادة تذكّار ماضٍ افيجره ذلك الي الكتابة ،
 فالحسرة ، فالياس احياناً ؛ ولكنه لا يلبث ان يشعر بتأثير الطبيعة وجمالها ،
 فيرجع الامل والمدور . الي قلبه ؛ حتى انه يتمني الموت ليتحد باقه ، منشي الطبيعة ،
 ومصدر كل تعزية ، وغاية كل امل .

هذا اذا لم تكن القصيدة تليخية او اجتماعية . فانه يندفع حينئذ بعاطفته
 الحرة الجريئة كالسيل الجارف .

اما اسلوبه الانشائي ، فليق ، عذب ، سهل المنال ، قريب الي الافهام . ان
 لامرتين شاعر من طبيعته ، نابغ منذ نشأته ، والشعر هو « لفته الطبيعية ، كلما
 جاشت عواطفه من المرمع او ازدهمت افكاره امام مشهد جميل . » (٢) وقد
 اعرب عن ذلك في قصيدته الجميلة المشهورة ، « الشاعر على فراش الموت » ؛
 ومنها قوله : « لقد انشدت الشعر كما يتغنس الانسان ، وكما تصجع الطير ، وكما

(١) Des Granges: *Hist. illust. de la Littérat. Française*, p. 792

(٢) الرحلة الي الشرق - Voyage en Orient - طبعة ١٨٤١ ، ٢٦:٣

تزرع الرياح ، وكما تدندن المياه في جريانها .^{١١} قام يجتهد يوماً ان ينشئ عبارته ، او يبحث عن المعاني والتراكيب العريضة . لذلك عاب عليه المدقرون ضعف انشائه . ولذلك ايضاً خمد ذكره في اواخر القرن الماضي ، ايام صارت الامارة الشعرية الى الپرناسيين (Parnassiens) ، المشهورين بغيرتهم على المائة اللغوية والتحنين البياني . اما اليرم فقد رفعه النقاد الى المرتبة التي تليق به ، واطهروا ما في شعره من المحاسن ؛ حتى ان الكثيرين يمدونه اعظم شعراء القرن التاسع عشر ، واضعته فوق فيكتور هوغو . ولا بدع فان هوغو نفسه شهد له بالتفوق اذ قال :

« ليس لامرتين شاعراً ، بل هو الشعر بعينه ا »

هذا هو الرجل الذي زار بلادنا لثمة سنة خلت ؛ وخلف اسمه ضيفاً ابدياً في اكثر معالمها . فوهذه غرفة لامرتين في بيت الدين ؛ وهذابيت لامرتين في حمّانا ؛ وهذه ارزة لامرتين الخالدة . وهذه . . . وتلك . . . ذكريات كثيرة . وهذا هو الرجل الذي رأينا من الواجب احياء ذكره وبث محبته بين ابنا البلاد ، لانه كان السابق الى جننا ، كما سترى من درس رحلته .

Neuvelles Méditations Poétiques, Le Poète Mourant. (١)

(له صلاتة)



محاولات في درس ميراثه

يسوع الانجيل ويسوع جبران

بقلم امين خالد

٣

(تتمة)

لا عجب في ان يكون جبران بعيداً عن الاقارار بالحواروق والمعجزات التي اجترحها السيد المسيح وحفظت ذكراها الاناجيل الاربعة ، وهو من عرفنا بميله الى التزعة المادية والى تحليل مظاهر الحياة باجمها عن طريق العاطفة والخيال . وانه ليكفيانا ان نقوم بمقابلة قصيرة بين نصوص الانجيل الصريحة بشأن المعجائب ، وتعليل جبران لها ، مختارين اربعة من اهمها وهي : شفاء العمى ، والشلل ، واخراج الشياطين ، واعادة الحياة :

« وفيما يسوع يجتاز من هناك تبعه اعميان بصرحان ويقولان : ارحمنا ، يا ابن داود . فلما دخل البيت دعا اليه الاعميان . فقال لما يسوع : هل تؤمنان اني اقدر ان افعل ذلك . فقالا له : نعم ، يا رب . حيثئذ لم اعينها قائلان : « كما انكما فيمكن لكما . » فانفتحت اعينها . » (١) هذا وذكر شفاء العميان كثير في الاناجيل الاربعة بصراحة تامة . وكذلك شفاء المقدمين والمخلمين :

« وفي احد الايام كان يلتم ، وكان الفرسيون وملمو الشاموس جالسين ، وقد اتوا من جميع قرى الجليل واليهودية ومن اورشليم . . . واذا برجال يحملون مخلتاً على سريره وكانوا يلتمسون ان يدخلوا به ويضموه اسامه . واذا لم يجدوا من ابن يدخلون به لسبب الجمع صدوا به الى السطح ودلوه من بين الدب مع سريره الى الوسط الى قدام يسوع . فلما رأى ايمانهم قال : « يا رجل ، مغفورة لك خطاياك . » فجعل الكتبة والفرسيون يفكرون ويقولون : من هذا الذي يتكلم بالتحديف ؟ من يقدر ان يفر الخطايا الا الله وحده ؟ فلم يسوع افكارهم وقال لهم : « باذا تفكرون في قلوبكم ؟ ما الايسر ان يقال مغفورة لك خطاياك ام ان يقال : قم وامش ؟ ولكن ، لكي تلمسوا ان ابن البشر له سلطان على الارض ان يفر الخطايا - ثم قال للمخلع - : لك اقول : قم احمل سريرك واذهب الى بيتك ا » وفي الحال قام قدامهم ، وحمل السرير الذي كان مضطجماً عليه ومضى الى بيته مجدداً الله . » (٢)

وهذا مثل على اخراج الشياطين :

« وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس ، فصاح بصوت عظيم قائلاً : « دع ما لنا ولك يا يسوع الناصري ! أتيت لتهلكنا ؟ قد عرفتك من انت انك قدؤوس الله . » فاتهمه يسوع قائلاً : « امس ، واخرج منه . » فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئاً . » (١)

واما قيامة الاموات فاشهر عجائب المسيح فيها قيامة لعاذر ، وقيامة ابنة الرئيس ، وقيام ابن ارملة من مدينة نائين . وكان يسوع ذاهباً الى هذه المدينة : « فلما قرب من باجا اذاميت محمول ، وهو ابن وحيد له وكانت ارملة ، وكان معها جمع كبير من المدينة . فلما رآها الرب تحسَّن عليها وقال لها : « لا تبكي . » ودنا ولمس الحش فوقف الحاملون . فقال : « اجا الشاب ، لك اقول : ثم . » فاستوى الميت وبدأ يتكلم فأسسه الى أمه . فاخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : لقد قام فينا نبي عظيم وانتقد الله شعب . » (٢)

واما قيامة لعاذر فافتنا نجيل المطالع الى انجيل يوحنا^(٣) ، فيرى فيه تلك القطعة الرائعة معنى ومبنى . الى غير ذلك من الاعاجيب الكثيرة . وازنا لم نكتفِ بهذه المظاهر الاربعة الا لان جبران يشير اليها خاصة ويحاول تعليلها بما يستدعيه الابتسام ، قائلاً عن المسيح ، على لسان ملاخي الفلكي انبائي :

« يقولون انه كان يطبي العميان بصراً ، والمتمدين مقدره على المشي ، وانه كان يخرج الشياطين من المجانين .

قد لا يكون العمى الافكرة مظلمة يمكن التنظُّب عليها بفكرة ملتبه . وقد لا يكون العسر المشلول الا خورلاً يمكن ايقاظه بالذرة المتحركة . وقد يكون ان الشياطين ، وهي العناصر الغلظة في حياتنا ، تخرجهم منا ملائكة السلامة والطأئينة . ويقولون انه اعاد الموتى الى الحياة . فاذا كنت تغدور ان تحبوني ما هو الموت ، فانا حينئذ اخبرك ما هي الحياة . » (٤)

كذا ! ولا نرى ضرورة للتعليق على هذا الشرح ا

بل فلنتقل الى اهم المواقف ، غير المجانب ، من التي ترك فيها جبران الموضوع النسائي المحض ليحصل محور بحثه فلسفياً عميقاً وشبه لاهوتي . فنراه يوجز خلاصة افكاره في النص الذي هو مقدمة « آلهة الارض » وزبدة كل ما مضى من التأليف ، وذلك النص سروري على لسان « يوحنا التلميذ الحبيب في شيخوخته » قال :

(٢) لوقا ٧: ١٣-١٧

(٤) يسوع ابن الانسان ، ص ٥٤-٥٥

(١) لوقا ٤: ٣٣-٣٦

(٣) يوحنا ١١: ١-٤٦

« ولعلكم تألمون ، لذا سبته « الكلمة الاولى » . فاصنوا لاجبيكم :
في البدء تحرك الله في الفضاء ، ومن حركته التي لا قياس لها ولدت الارض وفصولها .
ثم تحرك الله ثانية ، فانبثقت الحياة ، فصار حينئذ ينشد العلو والعمق ، ليكون له
الاكثر فالأكثر من ذاته .

ثم تكلم الله ، فكان الانسان من كلماته ، وكان الانسان روحاً مولوداً من روح الله .
وعندما تكلم الله هكذا ، كان المسيح كلمته الاولى ، وكانت تلك الكلمة كلمة ،
وعندما جاء يسوع الناصري الى العالم ، سمع العالم به الكلمة الاولى الخارجة من فم الله ،
وصار صوت تلك الكلمة لحياً ودماً . » (١)

فلتفربل هذا المتن الذي تكاتفت به افكار جبران واتخذت فلسفته عبارتها
المختصرة المفيدة عن يسوع ، على لسان تلميذه الحبيب ، في سن الرضاعة
والحكمة . ولنتخلص من الذهول القوري امام الآيات الطنّانة في هذا الموضوع
العريض ، ونحفظ ما يبقى بعدئذ بمصفاة الفكر وزي نسبته الى المبادئ الروحية .

قال جبران : « في البدء ، تحرك الله في الفضاء . . . فاستعمل في تعبيره
الفعل اللازم اي الذي يكفي بفاعله ويعود تأثيره عليه . مع ان المذاهب
الروحية تدمن بغير هذا المبدأ ، لانها تعلم ان الله في البدء حرك الكون وخلق
وابدع ، اي تمدى بافعاله الى ما يخرج عن ذاته ، فبدأ عالم الوجود . فانه كان
قبله منذ الازل ، وباتر بعده الى الابد . وكان من جملة ما ابدع الارض ،
والانسان الذي صورده من ماء وطين ، ونفخ فيه من روحه . واما جبران فيقول
ان الارض زُلدت من الحركة الذاتية الكبرى لله ، ومن مثل هذه الحركة
الالهية العظيمة انبثقت الحياة . واخذت هذه الحياة الالهية الارضية توسع دائرة
نطاقها لتكسب العلبة والتفوق برفعتها وتأصلها . وعندما بلغ تطوّر الحركة
الالهية - لا الحركة التي احدها الله خارجاً عن نفسه - الى هذا الحد وصار ارضاً
حيةً ملأت الجبر الحثالي ، عند ذلك « تكلم الله » ، فكان الانسان من كلماته ،
وكان الانسان روحاً مولوداً من روح الله . » وفي هذا الدور تلفظ الله
بالكلمة ، اي اظهر معنى الحياة الارضية المتغلبة ، لان الكلمة هي عبارة عن
الشرب الذي يفصل للمعنى المقصود ، وهي ترجمة الغاية الكامنة في سر التكلم .

وبتكلم الله جمل الانسان روحاً منبثقة من روحه ، فكان هذا الانسان موضوعاً وغايةً للحياة الارضية التي انتبتها البذار الالهي ، وكان المسيح اول ثمرة كاملة انتجت تلك الشجرة « وصار صوت تلك الكلمة لحماً ودماً » . يُشبع جبران فكرته ايضاحاً ، فيبين ان موسيقى الكلمة التي صدرت من شفهي الله عندما اخترت الارض بالحياة ، « هي اللحم والدم » ومن البديهي ان حسن النغم وجمال اللحن يكونان في تمام العناية باللحم والدم ، اي في عناصر الجسد فقط . وهكذا يكون الجسد البشري هو الكلمة الكاملة المولودة من روح الله . ويكون هذا الجسد هو القالب الذي حصر به « حنين الحياة الذي ينشد العاوت والعمق » ، اي الذي تكاتف به حب الانسراح والانتساع اللامتناهين في تجسده الارضي الناتج عن تحرك الله على الوجه الذي « لا قياس له » اي الذي لا يحد حركته فكر ، ولا يدر كنهها فهم .

مرة اخرى يتجلى جحود جبران اصل المبادئ الاساسية للمذاهب الشرقية التي اوجدت نزعات ما وراء الطبيعة ، وذلك بانكاره استقلال القوة السهاوية اللامتناهية التي تعمل بارادتها الحرة عملاً غير لازم .

ومرة اخرى يلقي الروح المجردة والفكر والعقل ليقدم ويؤله « كلمة اللحم والدم » بجعلها نعمة الروح وسر الحياة .

ولكنه في هذه المرة اتخذ رمز الروحية التاريخية الاكبر (يسوع المسيح) وادغمه في خلايا المذهب المادي الرامي الى تقديس الارض وكل ما عليها ، واهم خلق يميز هذا المذهب الفلسفي هو عبادة الجسد . وقد انشأ جبران في كتابه مقالاً مخصوصاً للتعبير عن تأليفه بين المبدئين النقيضين ، وهو انذني يستنطق فيه « سر كريس الراعي اليوناني الشيخ الملقب بالمجنون : يسوع والاله بان »^١

ويهذا التأليف وذلك الادغام الصق جبران في اثره الفني علة الاضطراب بين الحقيقة العلية والتركيب الادبي . وتقدر بان سيق الى هذا الانتاج ليجمل من عصارة عاطفته المكبررة طعنة انتقام سامة في قلب الهيئة الاجتماعية التي حرم جليل رغائبه ، في مقبل عمره ، بسبب فرد من ابناها هو المطران بولس غالب^٢ ،

وسبب فروق اعضائها فاعتبرها من ظلام العاطفة الجائزين على الحرية. فكان متطرفاً في زعمه، وكان مفرقاً في جدته، ليحول القوم عن موضوع تعاليمهم. ومما يلفت النظر ويؤيد رأينا هذا الزفرة المرة التي ينفثها جبران على لسان «ابا الانطاكي: يصف شارول الطرسوسي» بـ «بحق منظم اللاهوت الروحي» وباعت الاتجاهات الروحية المسيحية: بولس الرسول. قال:

«ان بولس هذا رجل عجيب غريب. ان نفه ليست بنفس الرجل الخمر. فهو كثيراً ما يبدو كالحيوان في الغابة، طارده الصيادون ورموه، فجاء بشد كهنناً يعني فيه الله عن العالم.

وهو لا يتكلم عن يسوع ولا يبيد اقواله. بل يظن عن ماسياً الذي انبأ عنه الانبياء. ومع انه من علماء اليهود فهو يخاطب اصحابه اليهود باليونانية. ويونانيته عرجاء، وهو لا يحسن اختيار الفاظه لمواضعها.

بيد انه رجل ذو قوة خفية، والناس يؤيدونه باقبالهم على ساعه، وكثيراً ما يؤكدهم اموراً هو نفه لا يثق بها.

فنحن الذين عرفنا يسوع وسمعنا خطبه نقول انه علم الانسان كيف يحطم قيود عبوديته ليتحرر من سجون اسمه.

ولكن بولس هذا يصنع قيوداً جديدة لرجل الغد. فهو يضرب بمطرقته على السندان باسم رجل هو نفسه لا يرفقه... فالناصرى يرغب البنا ان نيش الساعة يوجد وشوق.

اما رجل طرسوس هذا فانه يأمرنا بالمحافظة على الشرائع المكتوبة في الكتب القديمة. «١٥»

اذن جبران نفه بصرح بان يسوع الذي يقصده على طريقي تقيض مع يسوع بولس الرسول. فيسوع، كما بشر به بولس، مصدر الرصانة والمحافظة

والنظام. وهي اشياء يشترج جبران من ذكرها وينقم على ناشريها. فيصور يسوعه تائراً يتطلب الحرية المطلقة، ومحجاً والمأجماً بالعاطفة الايجابية.

وعلى هذا الوجه نظم قصيدته التي تعنى بها في آخر الكتاب بترايا البطل الذي اراد تجلله باسم «ابن الانسان» فامتدح به سجايه المختارة وافاض من

شآبيب قلبه انشودة رائمة ونجها اليه تحت عنوان «رجل من لبنان: بعد تسعة

عشر قرناً». «وما هذا الرجل سوى جبران نفه يلخص عواطفه وانكاره التي سكبت بين طيات الكتاب.

(١) يسوع ابن الانسان، ص ٦٢-٦٤

(٢) يسوع ابن الانسان، ص ٢١٦-٢٢٤

الأمير حيدر احمد الشهابي

ومارجه

الفرح الحسان في اخبار ابناء الزمان

يُصنف الاديبان الدكتور اسد رستم احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية ، وفؤاد افرايم البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف ، بتحقيق نص تاريخ الأمير حيدر الشهابي وطبعه طبعة علمية ستظهر قريباً بعنوان « لبنان في عهد الامراء الشهابيين » مؤلفة الحلقة الاولى من منشورات مديرية المعارف التاريخية. وتند هذا الاديبان الجمهور الجيئة في درس مخطوطات التاريخ المتعددة والتنقيب عن النسب المراتية الى عهد المؤلف. وعرضا نتيجة ابحاثهما في مقدمة صدرها بها القسر الاول من التاريخ المذكور. فرأينا اطلاق القراء الكرام على زبدة ذلك أخذين لهذا المدد ما يخص الأمير المؤرخ ، ولامدد القادر ما يظهر من مزاي تاريخه الكبير ، شاكرين للحكومة اللبنانية عنايتها باظهار ما يُعد من خير الاصول العربية لتاريخ لبنان .

١

مصادر البحث

نأسف انه لم يتصد لترجمة هذا المؤرخ اللبناني ترجمة مفصلة مطوّلة أحد من معاصريه . ونأسف ايضاً ان لا يكون لدينا من المصادر الاولية لهذه الناية سوى هذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن ، وما ورد عن الأمير ومؤلفه في كتاب « الساق على الساق » ل احمد فارس الشدياق . ولا يخفى ما كان في قلب احمد فارس من الحقد على امراء لبنان ، وعلى الكنيسة المارونية في ذلك العصر . ولذا زانا مضطربين ان نتحفظ التحفظ التام في قبول شهادته على الأمير المؤرخ .

والنقد التاريخي الحديث يضطرنا ايضاً ان لا نقبل روايات الشعراء المعاصرين الا اذا توافق لدينا من شهادات غيرهم ما يزيكها فيعزز ما بها من حقيقة ، ويزيل عنها صبغتها الشعرية الخيالية من حيث التطرف في المدح ، والافراط في الاطناب ، والاقتدار على ذلك في غالب الاحيان .

هذا وقد ورد شي. عن الأمير حيدر في المجلد العاشر من «دائرة المعارف»

المرية للبستاني . إلا أننا نعتقد أنه ليس المعلم بطرس البستاني ، صاحب الدائرة ، بل لشاكر شقير ، معاونه في العمل . وذلك بدليل ما نقله الينا - الاستاذ العلامة عيسى افندي اسكندر المعارف من انه رأى بيد شاكر شقير مسودة المقال ذاته ، وان شاكرًا المذكور نسب هذا المقال لنفسه^{١١} . ولا يخفى ان المعلم بطرس البستاني توفي قبل اكمال المجلد السابع من دائرته ، وان اولاده تولوا العمل بعده واكملوا المشروع الى نهاية المجلد الحادي عشر^{١٢} . ثم ورد شي . عن مؤرخنا ايضاً في تاريخ الرهبانية الانطونية المارونية ، وهو للاب عمانوئيل البغداتي الذي توفي منذ عهد قريب .

قد اتانا الان سرغمين على الاكتفاء . بهذه الروايات المتقطعة الضئيلة ، محاولين الى حد ما ازالة هذا الاضطراب من بعضها ، حتى نتسكن من نسجها وتقديمها للجمهور بصورة كاملة .

ونحن ، وان جرحنا بعض هذه الشهادات ، لا يفوتنا في الوقت ذاته أن ما ورد في كتاب الامير من الاشارة الى نفسه هو على جانب من الاهمية ، اذ انه على الاقل كلام المؤلف عن نفسه . وكذلك ما ورد في كتاب « الساق » على الساق^{١٣} فانه لاحد كتاب الأمير المؤرخ ، ان لم نقل لمدرسه في التأليف ، كما اشار الى ذلك جرجي زيدان في مجلة الهلال^{١٤} . ولا يخفى ما لكلام شاكر شقير من الاهمية ايضاً اذ انه شريفاً في الاصل قريب من كفرشيا ودير القرقفة ، وقد عرف البلاجي الكبير ، والمعلم بطرس البستاني وغيرهما من معاصري الامير المؤرخ ومعاونيه . ويقول الاب عمانوئيل البغداتي في كتابه المشار اليه آنفاً انه اخذ ما رواه عن الاب يوسف البغداتي الذي تقيد بخدمة الامير الروحية^{١٥} . هذا هو المهم من مصادرنا فلنرجع الآن الى الامير وترجمته .

١١ تخصص شاكر شقير لجمع المراتب المرية لدائرة البارف البستانية ، ولهذا نرى تحت اسمه ، في بعض كتبه المطبوعة ، هذه العبارة : «المساعد في دائرة المعارف المرية» ، كما حقق الاستاذ الملوف .

١٢ اطلب تاريخ ظهور هذه الاجزاء على ديباجاتها ، وراجع تاريخ سورية للطران يوسف الدبس ٢ : ٧٣٤-٧٣٥ .

١٣ مجلة الهلال ١٠ : ٦٦ ١٤ تاريخ الرهبانية الانطونية ، ص ٤٢٣

ترجمة الامير

نسبه ووطنه

هو الامير حيدر ابن الامير احمد ابن الامير حيدر الشهابي الحاكم المشهور^(١) وُلِدَ في ٢١ شباط سنة ١٧٦١ (١١٧٤ هـ) في دير القمر على الارجح ، ار في قرية المعاصر التحا المعروفة اليوم بمعاصر بتدين ، في جوار دير القمر^(٢) . وتوفي في دير القرقفة سنة ١٨٣٥ (١٢٥١ هـ)^(٣) . وكان في حياته كثير التنقل في انحاء لبنان تارةً . يقيم في دير القمر ، وطوراً يجول في مياطير الشوف والمتن ، اذ كان يكلفه الامير بشير الكبير بعض المهام الادارية والحربية ، او يقوم هو نفسه بشؤون سياسية كان من شأنها ، على النجالب ، ان تؤزل الى الخير العام واصلاح ذات البين بين الامير ومن كان يفض عليه من رجالات البلاد ، كما سيأتي . اما مركزه فكان قرية شلان ، ولا تزال فيها آثار داره . وفي سنة الاخيرة كان يقضي فصل الشتاء في دير القرقفة في كفرشيا ، حيث كان قد بنى جناحاً خاصاً لكتابه ، على ان يعود للدير بعد وفاته . وهكذا كان .

ابتازة

رُزِقَ الامير خمسة اولاد ذكور توفروا صفاراً فدفنهم في شلان في قبة بناها لهم لا تزال آثارها ظاهرة الى اليوم ، وعي في اعلى القرية ، بالقرب من طريق العربات . وقد اشار في تاريخه الى ابنة له كان قد خطبها الامير سعد الدين ابن الامير يوسف الشهابي فتمه الامير بشير الثاني عن الزواج بها ، وزفها الى ابنه الامير امين^(٤) . ويقول بعض العارفين اليوم ان والدة الامير عباس كنج كانت احدى بنات الامير حيدر ايضاً .

(١) Fleischer, *Über das syrische Fürstenhaus der Banu Schibab*. [Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft V, 46-59.]

(٢) اطلب في ذلك تاريخ الامير قسه ، ص ٥٤ من طبعته . « والجواب على اقتراح الاحباب » للدكتور ميخائيل مشاقه - مخطوطة جامعة بيروت الاميركية ، ص ٢٥

(٣) اخبار الاعيان للشيخ طحوس الشدياق ، ص ٦٣

(٤) نيسى اسكندر الملقوف: الامير حيدر الشهابي - في مجلة « الكلية » ١١ : ٢٢٢-٢٢٤

اخلاقه وصفاته

وكان ، على ما يظهر من كلام الشيخ طنوس للشدياق ، ابيض اللون ، جميل الوجه ، طويل القامة ، عبل الجسم^١ . وبشهادة خصمه ، كان « حلياً يحب السلم والدعة »^٢ . ويقول شاكر شقير انه كان كريماً وقوراً محبوباً من الناس ، ومحباً للفقراء^٣ . ويظهر من القمم الاكبر من المصادر انه كان دينياً تقياً متمسكاً بذهبه الماروني ، محباً للربان والاكليروس . فقد ورد في «الساق على الساق» انه نظر يوماً في بعض الكتب هذا البيت وهو :

وذنوا لنا الدنيا وهم يرضونها افابيقى حتى ما تندل لنا ثمن

« فظن انه تعريضٌ بهم وتلميحٌ اليهم ، فأمر باحراقه فأحرق وذري رماده . »^٤ وورد ايضاً في الكتاب نفسه ان الامير رأى يوماً آخر بيتين من الشعر فيها تعرض للربان ، « فأمر ايضاً باحراق الكتاب ، وبعث جواسيس في البلد يتجسسون عن مؤلفه ونودي في الروابي والوهاد ألا من دل على مؤلف كتاب كذا فانه يجزى احسن الجزاء . » ويرقى الى رتبة سنية .^٥

وبما نقله لنا الاب عمانويل البعبداتي ، عن معلم ذمة الامير المؤرخ ، ان الامير حيدر لم يكن يفتر عن سماع القداس يوماً ؛ وانه كان يسمع القداس الالهي يوماً ما ، ولدى انتهائه بُدئ بقداس آخر ، فثبت الامير يسمع القداس الثاني . وعند نهايته خرج من الكنيسة ، فاعترضه اميرٌ من اقاربه قائلاً : ألا يكفي قداس واحد ، والكنيسة قأمر باستماع القداس نهار الاحد والعيد الواجبة بطالته ؟ فاجابه الامير بانسه ودعة : ان الكنيسة أمرت كما قلت لكنها لم تنه عن استماع القداس كل يوم من كان في امكانه تتيم هذه العبادة . ثم اجابه عن استماعه قداسين بما نصه : « اذا كنت يا صاح في الصيد ، واتاك رفٌ حجل فاقتنعه ، ثم اتاك رفٌ آخر ألا تقتنعه ؟ فكم احرى اننا

١) اخبار الاعيان ، ص ٦٣ . ولعل الفاربايق اورد كلمة « أخزقة » في وصف

الامير حيدر لمجرد الذم فقط . (الساق على الساق (طبعة اوروية) ، ص ٢٧)

٢) الساق على الساق ، ص ٢٧ ايضاً .

٣) البستاني : دائرة المعارف ، ج ١٠ : الفال « شهاب : الامير حيدر احمد »

٤) الساق على الساق ، ص ٢٩

نعتاد الكنوز الثمينة بواسطة حضورنا القداس الالهي الذي منه نكتب كثيراً لا يفنى .^{١١}

وقد اشتهر مؤرخنا بإنفاقه على الرهبان ووقفه الاملاك الكثيرة لهم . وهذا أمر تاريخي ثابت بدليل الصكوك الشرعية التي لا تزال محفوظة حتى اليوم في بعض الاديرة اللبنانية كدير السيدة في شلان ، ودير مار جرجس الشير في بكيين ، ودير مار انطونيوس القرقفة في كفرشيا ، ومقر البطريكية المارونية في بكيري . وجاء في تاريخ الرهبانية الانطونية المشار اليه آنفاً انه وقف لدير الشير اوقافاً جزيلة من حملتها قنديل كبير من الذهب الخالص ، وانه وقف كرم زيتون لاجل مصروف هذا القنديل . ولا يزال رهبان هذا الدير مع رئيسهم العام يكررون الترحم عليه حتى الساعة هذه . وبما يثبت تدنيه ويدون تقواه وحيثه الاخيرة ، والمفاوضات الاكليريكية التي تبودلت بشأنها والتي لا تزال محفوظة في خزانة البطريكية المارونية الى يومنا هذا . ويظهر من الوصية وتوابعها انه اراد ان يموت في حضن الكنيسة المارونية التي عاش وتربى في ايمانها ، وانه ارصى بان يورث عن نفسه مائة وخمسون الف قرش على جميع الطوائف الكاثوليكية شرقيّة كانت ام غربيّة .

مواجهه الادارية والسبابة

وكان محباً للسلام رفيقاً بالجميع . فالمعترون من شلان اليوم يقولون ان للصلاحية قدماً له شلان جزاءً توسطه في أمرهم ونجاحه في الحصول على عفو الأمير بشير عنهم . وهو الذي شفع للأمير عباس ، وتوسل بالامير فاعور والإمير أمين علي لدى الامير الكبير . وبما يتضح من مطالعة تاريخه وكتاب «اخبار الاعيان» للشيخ طنوس الشدياق انه انتدب مراراً للاعمال السبابة والادارية والحربية . مثال ذلك انه أرسل سنة ١٧٩٠ الى قرية كفرسلوان لاحراق منازل بني حاطوم^{١٢} . ويقول هو عن نفسه انه لما رُئي مباشرة الشوف سنة ١٧٩٤ أظهر في تلك الظروف الحرجة من الدراية والحكمة ما

(١) الاب عمانويل الببداني : تاريخ الرهبانية الانطونية ، ص ٤٢٤-٤٢٣

(٢) اطلب تاريخه ، ص ١٦١ من طبعتنا

استوجب له ثناء الجميع ، فقيل : « لو كان غير هذا الامير في مباشرة الشرف لكان ثلاثي واضمحلت من افراط الظلم والجرائم لكن الامير المذكور اوتي اناس كثيرين وحفظ عدة مواضع وذلك لهمه الوفيه ومناقبه الحميده . »^(١) وقد اشار ايضاً في تاريخه هذا الى موافقه الحربية في قب الياس وساحل بيروت وغيرها . ولما قرأ الامير بشير اولاً الى عكار ، وثانياً الى حوران ، كان مؤرخنا يرفقته . ولعل شاكراً شقيق مصيب حين يقول ان الامير المؤرخ لم يكن له طمع في الجاه ، وانه انتخب مراراً للولاية فرفض وآثر بقاء الامير بشير^(٢) . وفي زجلية طويلة ، محفظة لسدى الاستاذ المملوف ، في حروب الامير بشير ، لابي ابراهيم درويش بن مرعي القاري ، قوله :

وبعد هذا صارت الحركة تريد قالوا « ابو سدى » حاكم لا يزيد
قالوا ننتخب لنا حاكم جديد فنادوا باسم الامير حيدر شهاب

هذا ومن يُتَدَبِّ لاعمال ادارية سياسية حربية ، ويُتَدَبِّ مراراً للولاية فيرفض ، يُتَبَعِد ان يكون « على جانب عظيم من التغفل » ، كما يقول احمد فارس في كتابه المشار اليه آنفاً^(٣) .

بعض سلايه - ولله بالتاريخ

كان الامير حيدر مولماً بالصيد ومقاتلة الاديالك ، وبالتاريخ . فالاستاذ المملوف يقول ان معتري شلان وغيرها الذين عاصروا الامير حيدر روى انه كان مولماً بالصيد متفرغاً له^(٤) . وقد حدثنا جرجس بك صفا قال : « اخبرني رستم باز قال : كنت منذ حدثتي مولماً بتربية اللجاج ومقاتلة الاديالك . وكان مولماً مثلي بهذين الامرين الامير حيدر احمد الشهابي . فكنت اجلب ادياكي من دير القصر الى شلان لاجل مقاتلة الاديالك . فيوم اربع ويوم اخسر . »

واكبر دليل على ولعه بالتاريخ اثره هذا الذي نغني بنشره الآن وسنقول عنه كلمة في العدد القادم

(١) اطلب ذلك في الصفحة ١٧٨ من طبعنا

(٢) البستاني : دائرة المعارف : المقال قه

(٣) السابق على السابق ، ص ٢٧-٢٨

(٤) عيسى اسكندر المملوف : الامير حيدر احمد الشهابي - في مجلة «الكلية» ١١ : ٢٢٢

الفقه الاسلامي

تاريخه وتطوّراته

بقلم الاب لامس البسوي

٤

التعليم الوطني

تؤكد النظرية ان الشريعة تشتق مباشرة من القرآن ومن الحديث النبوي . فيكون من الضروري اذا ان العلماء والمؤمنين يبدأون ، في رأس واجباتهم ، بدرس هذين « الاصلين » للعقيدة الاسلامية . على ان الواقع يختلف عن هذا ، حتى في نظر اشدّ المفكرين استقلالاً بالرأي كالظاهري ابن حزم († ١٠٦٤) والحنبلي ابن تيمية وامثالهما ممن يدعون عدم التقيد الا بالقرآن والسنة . ويكفينا الاشارة الى ان ابن حزم يفتقد الشائخ وافرة على مرئسي المذاهب السنية ، ويترك مذهب الشافعي متخذاً مذهب الظاهرية ، ثم لا يلبث ان يعلن انه لا يتلقى الا بنفسه . اما تلاميذه ومريدوه فيتسمون « بالحزمية » . بيد ان الفعل الواقع يظهر ان المقياس الحقيقي لحلّ المشاكل الدينية لا يستند الى ظاهر الآيات القرآنية ، ولا الى مضمون السنة ، بل الى تأويل التعليم الحلي القائم بشخص العلماء . فليس للقرآن والحديث ، بعد هذا ، الا قيمة النصوص الدينية يطالهما المؤمن على سبيل الفائدة والغذاء الروحي . فلا يدرس آياتها ولا يناقش شروحا ولا يسأل نفسه هل تقدم تفسيرها ام لا منذ ثلاثة عشر قرناً .

هذا ومن المتفق عليه انه ، منذ القرن الرابع للهجرة ، «أغلق باب الاجتهاد» . وعليه فقد دُفع العلماء والمؤمنون جميعهم الى «التقليد» او الخضوع الاعمى ، دون تحفظ ولا احتياط ، لمقررات احد المذاهب الاربعة السنية . وقد وافق ختام القرن الثالث الهجري تأسيس هذه المذاهب ، وجنح كتب الحديث الستة للبخاري

ومسلم ومن اليها ، كما انه وافق اقرار العقيدة التقليدية التي لم تلبث ان قبلت نظرية الاشعري في التوحيد فاقترتها هي والحلول المتوسطة التي عُرف بها المذهب الاشعري . ثم ان هذه القرون الثلاثة الاولى مكنت الاسلام من ملاعبة المحيط الخارجي في المناطق التي احتلها ، فاستفاد منه العناصر الضرورية لتطوره العقائدي والقضائي . ولم يلبث ان تبني هذه العناصر المتعارفة ومسحها بسلطة النبي ، عارضاً اياها باسمه وباسم كبار الصحابة كالخليفة عمر وامثاله . ثم أُقر ان المشاكل الموهمة جميعها قد نوقشت ووضعت حلولها في تعليم المذاهب الاربعة وهذه هي الظاهرة التي ستأها الاستاذ ميز (A. Mez) ، المستشرق السويسري « بنهضة الاسلام » ، فإساءة في اختيار التعبير ، اذ ظن فيها ظهور اسلام جديد .

الاجتهاد

ليس الاجتهاد — او « الاجتهاد المطلق » كما يحدّد البعض — « ذاك الحق الذي يجوز صاحبه ان يبدئ نلم القرآن والحديث بواسطة انوار العقل وحدها » كما يدعي كازانوف . انما الاجتهاد يقوم بدرس « اصول » الوحي القرآني درساً تقديماً ، ومناقشتها في ما خصّ علاقتها بالعقائد وبنظام السلوك الديني . وهو الحق الذي يجوز صاحبه تحطّي تعاليم المذاهب السنية وآراء مؤسسيها الاثمة الاربعة مالك ، والشافعي ، والبي حنيفة ، وابن حنبل ، الى تأليف شرح جديد وابداء رأي حديث يرتكز على فهم نصّ القرآن ومضمون السنة فهماً جديداً اذقّ من الفهم السابق . وذلك بفضل درس هذه النصوص درساً تقديماً ، كما يُدرس اي نصّ كان ، وبفضل كون المجتهد لا يتوقف عند التأويل المتداول والشروح التقليدية . فهو يتعقّب اكثر متن تقدّمه في فهم معنى الشريعة الحقيقي ويستخرج من ذلك نتائج عملية وعقائدية جديدة . فدوره دور خلق وابداع ، لا دور تقليد وتعليق . على ان هذا الحق بالارتقاء الى اصول الدين الاولى ، يعتبر الاسلام ان الاجيال المتتابعة في الثلاثة القرون الاولى للهجرة قد قامت به حتى القيام حتى انها استخرجت كل ما يمكن استخراجه بواسطة دون استثناء . واذاً فلا من مبرر اليوم لان يعاد النظر في قرارات سرّ عليها الاجماع الثوري

مدة القرون الصديدة. وإذا فقد أغلق باب الاجتهاد المطلق ، ولم يبقَ الا الاجتهاد النسبي . وهو الاهتمام بمحلّ بعض المشاكل الثنوية بما لم ينسب له القداماء ، والحقّ بشرح التأويلات الخاصة بكل من المذاهب الاربعة ، وترتيبها ، وتجديدها ، بعض الاحيان ، بايجاد تطبيقات جديدة لها .

وان اعظم ما يدح به عالم هو القول انه « ادرك درجة الاجتهاد » . وقد قيل عن بعضهم انهم كانوا مجتهدين يستفنون عن التقليد . من هؤلاء كان داود ابن علي مؤسس المذهب الظاهري ، وابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، والسيوطي ، ومؤسس مذهب الوهابية ، وغيرهم .

اما العلماء فيحصرّون اهتمامهم بدرس مقرّرات السلف ، المجموعة في كتب وملخصات معروفة مستعملة والمرتبّة على ابواب وفصول لا يمكنهم تجاوزها . وانما يجتهدون في التعليق على تلك المتون ، دون ان يرقوا الى « اصلي » الفقه الاوّلين اي القرآن والسنة اللذين عوّضت عنها هذه المتون . ثم ان العالم الفقيه لا يتجاوز في تعليقه الآراء التقليدية ، ولا يجزأ على اصدار رأي شخصي الا في قليل من النقاط الثنوية لم يتفق عليها مؤلفو تلك المجاميع المدرسية . وقد لا يخرج هذا الرأي نفسه ، غالباً ، عن محاوراة التوفيق بين الحلول المتباينة . ثم تتكاثر هذه التعاليت وتتناغم حتى انها تقوم اخيراً مقام المتون السابقة في التعليم ، فتفرض بدورها تعاليت جديدة وحواشي ضافية تتحوّل هي ايضاً الى متون فارضة الحواشي والتعاليت ، وهكذا دراليك ! على ان جوهر الموضوع لا يتغير ، ولا يتأثر بشيء . من هذه الجهود في الشرح والتعليق .

فيكون من ثمّ ان التعليم ينحصر بعمل انتخاني من هذه المجاميع الضخمة . فهو يقوم بقراءة احد هذه النصوص على احد العلماء ، فيعلّق هذا ، من حين الى آخر ، على ما يُقرأ عليه شيئاً من الشروح الثنوية والقضائية يلخصها من شروح سلفائه . وان هذا المظهر وحده يكفي للدلالة على الحدود الضيقة التي تحصر ضمنها « الاجتهاد النسبي » . وعلى ما تقوم به نظرية « التقليد » من فرض التقيد الكلي بأراء المذهب المقرّرة ، ومن التضييق الشديد على التطور المقائدي وعلى تقدّم الاسلوب النظري في الدين الاسلامي . على ان اغلاق باب الاجتهاد لم يحلّ

من اثاره بعض احتجاجات قام بها «الاصريون» من المسلمين، فأروا في ذلك «جرية اقرارها العلماء على الاسلام باسم الدين». وكان غيرهم من المتحفظين قد اخذوا على العلماء انهم بالقوا في اعتبار الائمة من البشر، وان كانوا من امثال ابي حنيفة والشافعي، حتى تناسوا في ذلك اعتبار القرآن والسنة. وقد فات جميع المحتجين انه ان كان الاسلام قد تمكن من مقاومة الزعازع الكثيرة التي اصابته، فان الفضل في ذلك يعود الى «اغلاق باب الاجتهاد». وان كان الاسلام قد عاش محافظاً على حياته العقائدية القديمة، فذلك لانه عاش حياة بطيئة سليمة، بعيداً عن المناظرات والمناقشات التي كان من شأن الحرية، لو وجدت، ان تثيرها عنيفة هوجاء دون شك.

لا مجامع في الاسلام

لقد انتقد الشيعة نظرية «الاجماع» فبينوا ما يكنونها من ضعف واضطراب، كما انهم بينوا ما في «التقليد» من خطأ للآراء والافكار الشخصية. على انهم قرروا مبدئياً، في اوساطهم التلمسية، عجز العقل البشري، عجزاً اساسياً، عن ادراك الحقيقة المطلقة في ما يخص الامور العقائدية. فاستبدلوا «بالتقليد» السني تقليدهم هم واقاموا تجاه «الاجماع» المضطرب التفاوت، اداة رسيّة دائمة لمعرفة الحقيقة. وليست هذه الاداة الا الحكم المعصوم الذي يصدره امامهم المستور. وهم يؤمنون ان هذا الامام المنتجب الى علي مطلع على تأويل القرآن الحقيقي الذي وصل اليه من سلفائه اباً عن جد، وقد وصل اليهم من علي نفسه صهر النبي. ويدعو علماء الشيعة انفسهم «بالمجتهدين»، معتبرين ذواتهم مفتري الشريعة الاحياء واعضاء الامام العلوي المستور؛ وبهذه الصفة يشتركون معه بالعصمة. وعليه فليس في الشيعة الامامية من مجال للمذاهب المختلفة ولا لتباين الآراء، فهي لا تقر الا مبدأ السلطة.

ويجب ان نذكر هنا ان ليس «الاجماع» عند السنيين، كما قد يخاله من يقابل بين الاسلام والنصرانية. فليس في الاسلام نظام ديني متدرج من واجبه ان يسهر رسيّاً على مستودع الرحي القرآني. ولا نرى احداً، مدة الثلاثة عشر

قرناً ، قام بفكرة استفتاء جمهور المزمين ، او عقد مجمع عام في سبيل درس المشاكل المختلف عليها . أو لا يمكننا ان زى في ذلك ان مناقشة من هذا النوع تخالف تكوين الاسلام نفسه ؟ فضلاً عن ذلك فان هذه الفكرة ، لو حاول المسلمون تحقيقها ، لاعترضهم ما يتشع به كل من المذاهب الاربعة من الاستقلال النوعي ، وعدم الانقياد لمقررات مثله . ثم ان ما قد يقرره مجمع عام ، على فرض امكان حدوثه ، يكون مستنداً بالطبع الى مبادئ احد هذه المذاهب ، فيكون من ثم عاجزاً عن بسط هذه المقررات على تابعي سائر المذاهب . وهناك ما هو ادل من هذا على بُعد الاسلام عن الاخذ بالمجامع العامة . وهو انه ، حتى في البلاد الخاضعة لمذهب واحد ، لم يدر في خلد احد من العلماء المتنين جميعهم الى هذا المذهب ان يدعوا الى عقد مجمع خاص يتناقشون فيه ممأ بشأن بعض المسائل المهمة . وذلك ان ليس منهم من يجوز لنفسه الادعاء بالوصول الى الاجتهاد « المطلق » . ولا يجرح هذا الرأي ما يصدره احياناً علماء الجامع الازهر ، احد معاقل الشافعية ، من القرارات الجامعة . فان هؤلاء . يتبرون انفسهم متكلمين باسم الشافعية ليس غير ، حتى اذا نوا ذلك او تناسوه قام من تباع سائر المذاهب من يذكّرهم به . وعليه فيكون من التجديدات المهمة الخطيرة النتائج ما سعتاه مؤخرأ من ابراز مشروع يرمي الى عقد مجمع اسلامي عالمي يكون من اجابته حلّ مشكل الخلافة والعمل على مداواة الغائبا .

يعيش الاسلام مستنداً الى حكم مسلم به حتى لا يحتاج الى برهان وهو ان في القرآن والسنة جواباً عن كل شي . واذا فا الفائدة من الاجتماع والمناقشة ولدى المزمين كثر التفسير الصحيح ومجموع مقررات الائمة القدماء الذين فكروا بكل شي . ؟ أو ليس للعلماء ان « يحلّوا ويعقدوا » ؟ واذا فهم يسميظون بانفسهم عن « صوت الشعب » وعن المجامع العامة . وعليه فقد قُرد مبدئياً ان الطريق التي اختطها وسلكتها قدماء الائمة هي الطريق المثلى ، وان تعليمهم الصريح ، بل سكوتهم احياناً ، له مفعول القواعد الاساسية ، وان من غير الممكن ان تُعاد المناقشة على نقاط ضمنها اتقاقهم العام .

وقد قامت حركة الوهابيين في القرن الثامن عشر على هذه الطريقة السنية

في فهم «الاجماع» ، فنادوا بتخليص الاسلام ، والورد به الى طهارته الاولى . ولقد كان هؤلاء المجتهدون ، الذين نشأوا في بلاد العرب المتوسطة ، على حق في ما خص بعض المسائل الثنوية ، كما تُظهر ذلك مناظرات سابقهم الشهير ابن تيمية . إلا ان خطأهم كان بانهم ارادوا حصر الاجماع في حدود زمنية ضيقة جداً ، فشاؤوا ان يجموه لا يتجاوز عصر الصحابة واول التابعين . كما انهم انكروا كل عمل متأخر عن ذلك العصر من شأنه ان يكتف الاسلام ويبلده في الاقاليم التي احتلها ، وعملوا على وضع حد للتطور العقائدي والنظامي وهو من الامور التي فرضها انتشار الاسلام . فكان مثلهم مثل رجال الكنيسة الرومية الشرقية الذين لا يقبلون الا تحديدات المجمع المسكونية السبعة الاولى . فضلاً عن ان الاسلام ، لو وافق على مزاعم الوهابيين المضيق ، لأقر ضيقاً ان الجماعة الاسلامية قد اتفقت على ضلال مدة اكثر من الف سنة ، وهو ما يناهز به الوهابيون .

العلماء والفضاة

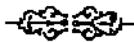
جاء في الحديث ان «العلماء ورثة الانبياء» . فاليهم يعود حق الشرح والتأويل . واليهم يلجأ المؤمنون في شكهم ، ومحاولتهم حل بعض المشاكل الضيرية ، او تحديد نقاط من العقائد تحتمل المناقشة . يألون العلماء عن ذلك كله فيجيبهم هؤلاء باجوبة مكتوبة يستندون فيها الى القرآن ، والسنة ، ومبادئ احد المذاهب الاربعة ، ثم الى الاجماع . وتدعى هذه الاجوبة فتاوى . اما قيمة الفتوى بالنسبة الى سلوك المؤمنين فتختلف باختلاف قيمة الادلة المستندة اليها . واذا كلف واضع هذه الفتاوى القيام رسماً مهمة اقتسام المؤمنين ، فانهم يدعون «مفتين» . وهم يمثلون الشرع الاستشاري ، ويحتلون مركزاً خاصاً في مجوع العلماء . وقد كان الرئيس الاعلى لجميع العلماء والمفتين في السلطنة العثمانية يحمل لقب «شيخ الاسلام» . وهو لقب كثيراً ما أُعطي في العصور الماضية للفقهاء المشهورين ، اجلالاً لهم . اما في تركيا فكان « لشيخ الاسلام » المركز الاول بعد الوزير الاكبر ار «الصدر الاعظم» . وكان يقوم بمهمات وزير الدين جميعها . وقد اخذ هذا الموظف التركي ، على عهد عبد الحميد ، يخاطب العالم الاسلامي بكامله متأثراً في

ذلك بفكرة الخلافة العالمية . فكانت صلاحته اوسع من صلاحية السلطان - الخليفة نفسه في ما خصّ الشؤون الدينية . على انه لما كان للسلطان ان يعينه ويغزله عندما يشاء ، كان للسلطة ضمانه كافية تكفل لها عدم تجاوزه الطاعة والخضوع . وقد الفى الكماليون هذا المنصب سنة ١٩٢٤ واستبدلوا به « دائرة للشؤون الدينية » .

اما القاضي فهو ايضاً منتخب من بين العلماء ، مختصّ بصلاحيه شرعية واسعة . وقد تحققتنا سابقاً وجود ازدواج في الصلاحيه القضائية في كثير من البلاد الاسلامية ، كما تحققتنا جهود بعض الدول الاسلامية ومحاولاتها العديدة في تجديد بعض اقسام الفقه وجعلها موافقة لروح العصر . وهكذا كان في السلطنة العثمانية ، الى جنب شيخ الاسلام وهو المرجع الاعلى لجميع القضاة ، مركز آخر يحتمه ناظر المدنية فيضيق كثيراً صلاحية « مشيخة الاسلام » . اما تركية الجمهورية فقد قلبت الفقه الاسلامي رأساً على عقب في بعض اجزائه وكادت تقضي على صفته الدينية . ثم قامت الحكومة المصرية نفسها بتحويل بعض الاحكام الفقهية في ما خصّ الاحوال الشخصية .

والقاضي يبني احكامه على مبادئ الشرع وحده ، متجاهلاً التغييرات او الاصلاحات التي تقوم بها السلطة المدنية . واما المواد التي تشملها صلاحيته فهي كل ما اتر فيه القرآن احكاماً خاصة كشؤون الاحوال الشخصية ، والوراثة ، والاقواف وما اليها . وقد ألحقت اموز الاوقاف الحاقاً باحكام القرآن الخاصة بالزكاة والاحسان ، وهو ما يبرر جعلها من صلاحية القاضي . وفي الحقوق الجنائية تنحصر صلاحية القاضي في تطبيق « حدود الله » ، وفي جميع الدعاوى التي تميلها اليه السلطة المدنية . وهو لا يقبل في محكمته الا الشهادة الشفهية . هذا وقد حاولت الحكومات الاسلامية ، في كل عصر ، ان تحصر صلاحية القاضي وتضيقتها خاصة في مواد الحقوق الجنائية . فهي لا تكفي بصلاحيه تنفيذ احكامه ، بل تحفظ ايضاً بحق الموافقة على جميع الاحكام الصادرة من المحاكم الشرعية التي يرئسها القاضي .

(البحث صلة)



الامثال والاساطير اللبنانية

المختصة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

نيسان

نيسان من اصل بابلي ومعناه في العبرية: «الزهر» و«الاسبال» و«البل الاخضر». سمي كذلك لان الازاهير والزرورع تظهر فيه، وقيل انه مركب من كلمتين فارسيتين: «نو» و«اسان» ومعناها: «اليوم الجديد» اشارة الى تجديد الطبيعة فيه بمناسبة الربيع، يقابله من اشهر الفرجة «اثريل» من انظمة لاتينية معناها: «الافتتاح» او «الابتداء»، ولعلمهم اطلقوها عليه لان الارض تفتح فيها احشائها وتخرج النبات، او لانه كان عند بعضهم زمن مفتح السنة او مبتدأها. خصه الاقدمون بالالهة «ثوس» آلهة الحب والجمال والمعروفة عند العرب بالزهرة وجعلوا بعض ايام من اوله اعياداً لها، وصوره الرومانيون بشكل رجل يرقص بين العازفين، وكان الشهر الثاني من سنتهم المبتدئة باذار. اما الفرنسيون فكان عندهم في الاجيال الوسطى مطلع السنة الى ان نقله ملكهم شارل التاسع في السنة ١٥٦٤ الى اول كانون الثاني، ومن ثم تبههم الناس على ذلك الى يوسا. ويقولون ان هذا النقل كان اخص الاسباب في «كذبة اول نيسان» المعروفة، لان القوم لما كان هذا الشهر مطلع السنة كانوا يتهادون فيه ويتمايدون، فلما نقل الى كانون الثاني صارت معيذاتهم فيه مزاحاً ودعابة وهذا ياهم وعرداً فارغة واكاذيب، فجرى ذلك عادة عندهم كل عام، وانتقلت هذه العادة منهم الى غيرهم الى ان اتصلت اليها، اما «سك نيسان» فالمقول فيه انه مأخوذ عن «برج الحوت» او «برج السك» كما يدعى في لغاتهم وهو البرج الذي تنتقل منه الشمس في هذا الشهر.

يكون نيسان عادة في لبنان ذا جو صافٍ يكثر فيه الصحو وقد تشتد الحرارة فتظهر الدبابات والموام من مخابها والطيور من اوكارها، ويخرج الناس الى

الحقول تصعد الاشجار بالشذب والارض بالحرث والكل فرح مرور بادبار الشتاء وباقبال الربيع . ومن اقوال العامة في ذلك :

« في نيسان تدخل الشمس برج الثور ، وتخلع على الدنيا ثوب النور .
وقولهم : « في نيسان اطفئ نارك ، وافتح شبايك دارك ، واسبح في الشمس لثارك » .

وقد يشتد البرد في نيسان بعض السنين وتساقط الامطار والثلوج ، على ان ذلك نادر . وقد حصل مرة في احدى السنين ان تزلت ثلوج في نيسان غطت اكداس الحطب والجرزون ، فقالوا في ذلك عبارة ما برحوا يرددونها كل عام ، متى جاء نيسان ، على سبيل الذكرى وهي : « لا تتعجب يا انسان ، في نيسان ، جرفنا الثلج عن الكدسان » وهذه الاكداس من الحطب يقطعونها في آذار ويحفظونها في الحقل ريثا تيبها الشمس فينقلونها الى المنازل للانتفاع بنارها في الشتاء القاسم ، ولكنهم ستنذ اضطروا الى نقلها في نيسان ، بسبب ما حصل عندهم فيه من البرد الشديد ، الذي لم يكونوا بانتظاره ولا اتخذوا العدة لاتقائه . ويروي ان الثلوج تساقطت سنة اخرى في نيسان ققطت المراعي ، وكان العلف المدخر للشتاء قد نفذ فتمدّر على الفلاحين ان يجدوا ما يفدون به ماشيتهم ، ثم ان بعضهم كانوا شذبوا كرومهم فجاءوا بجرزونها للماشية علفاً فاكلت وعاشت ، ولكن البرد اضر بكرومهم اذ تعرت بالشذب فيست ، اما الذين لم تشذب كرومهم فقد سلمت لانها لم تتعرض للبرد كالاولى ، ولكن ماشيتهم لم تجد ما تأكله فهلكت ، فقالوا في ذلك عبارة ما برحوا يرددونها كلما سقط الثلج في نيسان او خيف من تساقطه ، من باب التمثيل ، وهي : « ما قلنا راح آذار وهدراته ، حتى اجانا نيسان بثلجاته ، فالذي شحل كرماته ، ربح بقراته ، وخسر كرماته ، والذي ما شحل كرماته ، خسر بقراته ، وربح كرماته » .
ولا يخفى ان هذه الرواية على سذاجتها وايجازها تروي حادثاً تاريخياً قد يجد فيه فلاخر اليوم عبرة وذكرى .

ولشذب الكروم عندهم (او تشميلها او تربنتها) طرق متوارثة تدل على حذق ومهارة ، منها طريقة حرّية بالذكر يسندونها الى شيخ من شيوخهم سر

بكرام رآه يشذب كرمه فوقف يراقبه ، فاذا الكرام اکتع ، ولا يحسن العمل ، فنصحته الشيخ قائلاً : « اقطع يا ابني من الدوالي ما كان مثلي ، ومن القضبان الراضع والراجع وما كان مثلك » فذهبت نصيحته قاعدة للشذب يرددونها ويجرون عليها . وقد اراد الشيخ بما كان مثله من الدوالي الهرم الغاني ، و اراد بالباقي الثابت على الاصول والمائد الى الورا . والاكتع او المرحج ، وكلها تبيء الشكل الهندسي للدالية وليس منها فائدة تذكر . اما القضبان التي تترك فهي المساة في عرفهم « الملوك » وميزتها الناء والنضارة وبشذونها عادة على برعين الى ستة تبعاً لمقدار غزها ونضارتها .

وفي الغالب يكون نيسان في لبنان ناجياً من الثلج ، قليل المطر ، فتحتاح الزروع فيه حاجة شديدة الى مطرة ترويا . وتساعد على الاسبال ، لذلك اشاد اللبنانيون بمدح مطرة نيسان . وعظم فائدتها ، فما قالوا فيها :

« المطرة في نيسان ، بتسوى القرقة والصيسان » . والاصل في هذا القول ان اميراً لبنانياً استنوع احد الصاغة دمي من ذهب ، مرصعة بالماس والحجارة الكريمة ، تمثل الدجاجة وفراخها المساة في لبنان « القرقة وصيسان » ، وكان فخوراً جداً بهذه الدمي وكثرة ثمنها ، وقد دخل عليه في يوم من نيسان بعد جفاف طويل خيف منه على يباس الزروع احد المقربين منه ، فسأله الامير : « والقرقة والصيسان » على طبق بين يديه : « بكم تمن هذه القرقة والصيسان ؟ » اجاب الرجل : « ايها الامير ، مطرة في نيسان بتسوى القرقة والصيسان » . مشيراً بذلك الى ان ما ينتجم عن مطر نيسان من الحُصْب في الللال لا يُمكن تشيينه ، فذهب جوابه مثلاً .

ويقولون ايضاً بهذا المعنى : « المطرة في نيسان ، بتحي الانسان » . « والمطرة في نيسان ، جواهر ما لها اثمان » . « والمطرة في نيسان ، بتسوى السكة والفدان » ومعناه لا تحصل فائدة من السكة والفدان وما يزرع بها ، ان لم ترو تلك الزروع امطار نيسان . ويقولون : « في نيسان الدائمة في الحارة ، بتجيب اليها من القمح غرارة » لان الدلقة لا تحصل ما لم ينهمل المطر ، والمطر ينعش الزروع ويوفر الللال ويزيدها اقبالاً .

ويستذكرون انجاس المطر في نيسان في نيسان كل الاستنكار ، لما يعقب ذلك من جذب ويقولون : « نيسان بلا شتي ، مثل العروس بلا جلي » اي ان نيسان ، على جماله ، اذا لم تقع فيه الامطار ، فلا يستغل الفلاحون فيه من مواسمهم ما يسرهم ، كما ان العروس ، مهما كانت جميلة ، اذا لم ترف بحفلة غناء وطرب ، فلا يجد حاضر العرس ما يدعومهم فيه الى الاعتباط والبهجة .

وقد يشتد الحر في نيسان فتبدل الاثواب الثقيلة بالاثواب الصيفية الخفيفة ، ويدثر الصوف التي للاسرة بدثر القطن والكتان المستعملة عادة في الصيف ، ويقولون في ذلك : « في نيسان ، بتصير الدنيا عروس ، ويخفقوا النطا والملبوس » على انهم يتحفظون في هذا التبديل محاذرين التصرع فيه ، لما قد ينجم عنه احياناً من اذى البرد ، ولا سيما في الليل ويقولون : « في نيسان من خفف لبيه ، في خفو شسه ، اضر نفسه » . وشس نيسان عندهم ذات فائدة لمن يتعرض لها ، لذلك اشتها العجوز « لها ولشيتها » كما مر بك في الكلام عن شهر شباط . ويظهر ان التبكير في غرس الاشجار الذي اشرفنا اليه عند كلامنا على الكانوتين لا يصح في غرس التين الذي مواعده نيسان ، كما يتضح من المثل العامي الآتي : « متى صار ورق التين كف غراب ، قص ونصاب » ولا يصير ورق التين كذلك ، ولا سيما في الجبل ، الا في شهر نيسان .

وفي اعالي الجبال يزرعون الحمص في هذا الشهر ويقولون في ذلك : « متى صار ورق التين كف غراب ، ازرع حمصك في التراب » وفي نيسان تجم اغراس الثوت المزروعة حديثاً اي تقطع لتنمو ويقولون في ذلك : « شم وجم » اي قف حذاء الثرسة واقطعها على مساواة انفك . وهذا قياس للطول الواجب ان يترك لاغراس الثوت عند « جتها »

ويستحسن من مواليد الماشية في نيسان امهار الخيل ، ويقولون في ذلك : « لا تفتني الا مهر نيسان » لان الطقس يوافق فيه ينمو ويؤمل له المستقبل الحسن . وفي اواسط نيسان تظهر الطبيعة في لبنان بظهور الصيف ، مع ان هذا الشهر هو من فصل الربيع ، ويقولون في ذلك : « شمن وادخل » اي ببدء الشمينية التي تكون غالباً في نيسان يدخل الى الصيف ار الى جو جميل يشابه جو الصيف .

وفي نيسان يستمر عادة موسم القز الذي ما زال اللبنانيون يعدّونه اهم مواردهم الاقتصادية ، رغم ما ناله من الصدمات ، في هذه السنين الاخيرة ، ولهم في هذا الموسم امثال وتقاليد كثيرة نورد بعضها هنا لانها ذات علاقة بالموضوع الذي نعالجه . منها :

« في نيسان الحكم للنسوان » لان النساء يرثن ادارة الموسم فينطلقن من قيود الاعمال المنزلية ويأمرن الرجل بعمل ما يحتاجن اليه من المصارفات في مهامهن ، ويستخلصن من ذلك ان رئاسة الاسرة في لبنان كانت دائماً للرجل على ما ارجبته النواميس الالهية والطبيعية . ومنها : « القزّ بدھا قزّ » اي يلزمها تمب وعنا . ويقولون في مراحل القز او اطوارها الاربعة المسماة بالفطرات : « اول فطرة ، الطعمة قطرة قطرة » . « في فطرة التتئين ، دلّلي الطبق طبقين ، واستبشري بوقا . الدين » . « في فطرة التلاقي ، حطي الواطي عالي والعاللي واطي ، واصحي من الشهانة » . « في فطرة الاربعة ، طعمة متسابعة ، ان سلمت ذهب ، وان مرضت يا ضيمان التعب » . وبعد ان تصير القز في اليوم الخامس بعد الفطرة الاربعة يقال : « ليلة الخمسة ، كبري الكشمة » . « ليلة الستة ، كشي وحطي » . « ليلة السبعة ، ما لها شبعة » . « ليلة الثمانية ، عجوز ثانية » . « ليلة التسعة ، راحت على الشيخ تسمى » . « ليلة العشرة ، اكلها فشرة » ، اي قليلة . ويقال ايضاً : « عشر ، ودشر » . ويقال : « طلعت القزّ على الشيخ ، اقبر مرتك واستريح » .

وفي هذا المثل الاخير اشارة الى ان المرأة في لبنان تعاون الرجل في اعماله اليدوية ولاسيا في تربية القز ، ولاجل هذه المعاونة يرى نفسه في حاجة قصوى اليها ، فاذا فرغ من العمل استغنى عنها ، وقد عرفت في بعض القرى اعزاباً يلجئون بالزواج قبيل موسم الحرير ليكون الى جانبهم فيه زوجة تعاونهم عليه ، ولولا ذلك لارجأوا الزواج بل لما اقدموا عليه .

ويقولون ايضاً في نيسان ، تنشد العسافير الاغنية الآتية : « طاظا وژ ، طاظا وژ ، هي المنجل جات القز » . فمن طالع هذه المبارات العامية رأى فيها صورة صحيحة للحركة النشيطة التي تظهر في الاوساط الزراعية في لبنان ايام القز ، وادرك ما اتصف به الفلاح اللبناني من الذكاء والاقدام وبعد المهمة .

طائفة القرية

مأساة ذات فصلين

بقلم يوسف غصوب

٤

(تئمة)

الفصل الاول

المشهد السادس

المهاجر وحده

المهاجر
 بعد ان نظر طويلاً الى الجهة التي خرجت منها المرأتان، مكثت انهما
 ضحيتان لهذا الرجل العاشم . لم تتغير حالة هذا البيت منذ تركته .
 نعمان تمعدبان ؟ ورجل لا يضي الا لصوت المال ، ولا يهتر قلبه الا
 لرنين المال . هذه صورة العذراء . لا تزال مكانها . وهذه الطاولة لا
 تزال في محلها . فكأنني خرجت من البيت في الصباح ، وعدت اليه
 في المساء . لم يتبدل الا هذه الفتاة ليلى ، هذه الأختة النعمة الشاحبة !
 هي في ربيع الحياة ، اما قلبها فظلم بالاسى والكآبة . آه ما افساك ،
 يا ججع ، وما اظلك ! فان ريمحك لسوم . تيس ما حولها من
 العواطف ، وان لوتك لاسود يصنع كل شيء بالسراد حتى نور الشمس .
 ما اقرب السادة من هذا البيت ! فانها على قيد خطوة منه . فلأبني
 ألا ان يفتح النافذة ويقول لها : ادخلي اولكنه بدلاً من ادخالها الى
 بيته ، قد بنى دونها حائطاً واصلاً بالسحاب ، حائطاً من البخل والطمع ،

من هذا المدين الصلب القاسي ، فهل من سبيل لحرقة اقد نغص علينا
عشنا وشدت على قلوبنا برباطط ، فهي دائماً متألمة ، قلقة ، لا تكاد
تتنفس .

سافرت ، هربت ، تركت هذا السجن طالباً الهواء الطلق ،
طالباً شيئاً من السعادة التي قثت عنها هنا فا وجدتتها . ولكن هل
يسعد الثريد الطريد ؟ تكببت الاسفار ، وعانيت الالهوال ، واشتغلت
كثيراً ، وتعبت كثيراً ، فجمعت مالا وفيراً . ولكنني كنت دائماً
وحيداً فريداً . كنت في غربتي كلما هممت بالضحك سبقت الدمعة
الى عيني . . . ثم قلت : ارجع ، وارى اهلي . فلعل هجري يكون أثر
في ابي فغير طباعه ، ولين عواطفه افاذا هو هر ، لا يزال كما كان . . .
(بكاد يكي) ماذا افضل ؟ أأروح بسري ، وانخر اهلي عن نفسي ؟ ام
ارجع الى حيث كنت صامتاً حافظاً في صدري حزني والمي ؟ . . .
(امام النافذة)

ما اجل ليالك وايبي ساءك يا لبنان انجوم باسة على مخمل
ازرق ، فوق جبالك البيضاء . ونسيم يسري بين الاشجار ،
نائلاً تدهدات الازهار الى قلوب العذارى الساحرات . قراك ترقد حاملة
بالسعادة على منحدرات الروابي ، وبين احضان الاودية . من نظري اليك
ظن السعادة مخيئة فوق اكرانك ، وفي جوانب قصورك . ولكن كم
من قلوب حزينة ، وقلوب قاسية شرهة في هذه البيوت الهادئة ، وبين
الصنوبر المطر ، والسنديان الغض !

ابتسي ، يا نجوم ؟ وعطري ، يا نسمات الليل ! واسكبي السلام
والصلاح في قلوب العباد حتى الصباح . . . (ياخذ القنديل ويدخل الى الغرفة .)

وفي هذه الآونة يسدل الستار قليلاً فنبللاً

الفصل الثاني

المشهد الاول

ابو شهيد

يرفع الستار بعد دقيقة ، فيبدو المسرح فارغاً وليس فيه من نور سوى كباية المذراه .
ابوشهيد (يدخل جنة مضطربة) الف ليرة ذهبية ، واصبح اغني رجل في القرية ،
 بل في القضاء اجمع . (يجلس الى الطاولة) بل تصبح القرية ملكاً لي .
 ويصير هؤلاء المتكبرون ، ابناء الالسياد ، ابناء الشيوخ والامراء ،
 اتباعاً لي ينظرون اليّ خائفين حاسدين . انا ابن الفلاح الذي لم يكن
 على شيء من حطام الدنيا ، ثم هو الآن قدير على كل شيء ، تفتح له
 المجالس والبيوت ، ويرفع صوته عالياً . تراعي الحكومة جانبه ،
 ويفتش الكبراء عن صداقته . مسموع الكلمة ، نافذ الارادة .
 فليفضني من يشاء ، ولينفر مني من يشاء . فقد بلغت الذي بلغت
 بجدي واقدامي . قد كنت وياً على من اعترضني في طريقي ، ولا
 خرج ا فهدا حتى القوي على الضيف . الويل للضيف ! هي سنة
 الطبيعة . فمن اراد ان يعيش فليكن قوياً . ان الاتين والتلف
 والاستخزا . لا يفيد شيئاً . فان العاصفة اذا مرت لا تبقى الا على
 كل شيء . متين ثابت ها ا ها ا ها ا غدا يأتي هذا الشامخ
 الاتف ، هذا المتكبر المصغر خده للناس ، ويمد يده صاغراً . قد
 انتظرتك طويلاً ، يا رامي . وقد حان وقتك (ينمّر ان الرامي امامه)
 تفضل ، ادخل . اجلس . انت في حاجة الى المال ؟ أه ا أه انت في
 حاجة الى هذا الشيء . الذي احتقرته ، هذا الشيء . الذي كنت ترميه
 من النواقد ؟ انت في حاجة اليّ ؟ الى هذا الشخص الذي كنت تسخر
 به من مجله ا . . . تريد ان تبيع ؟ . . . كم تريد ؟ . . . تريد ان
 تهجر القرية ؟ ومن يكون مبهود القرية من بعدك ؟ انت رئيسها ،

انت عمادها ، انت خزيتها . كانت القرية تعترف من خزيتك ، اما
الآن فانت تمدّ اليدين ، تسمى وراه المال . . . كم تريد الف ليرة ؟
(كأنه رجع ال نفسه) الف ليرة ؟ ليس لدي الف ليرة . . . كيف العمل ؟
(افكار تتلاعب به) أتترك هذه الفرصة السانحة تفلت من يدي ؟ . . .
المال . . . المال هنا . . . المال واقد هنا بالقرب مني مع هذا الفتى
الناثم . . . اهو القدر ساقه الي ا اهو القدر حليفي (يتب السكين التي
على الطاولة) ماذا ؟ إلى هذا الحد وصلت ؟ . . . ارى الدماء على
يدي . . . لا . لا . اليك عني ، ايها اللعين . . . (يمس ويضجر) قرية
«عين عذراء» تصح بجلتها ملكاً لي . اصبح اغنى رجل في لبنان وكلستي
انفذ كلمة . . . من هذا الفتى الناثم هنا ؟ ا غريب الم يره احد ! . . .
لا . لا . (يدور في النرفة ذهاباً وإياباً مضطرباً) الف ليرة في جيبه . الليل
ساكن . ما من احد على الطريق . نحن في بيت بعيد عن القرية . في
البتان بئر عميقة هجورة مغطاة بالوسج . . . لا يمر بها احد . . . لا .
لا . ا ترى هذا الذي يقال له الضير . . . قرأسي يكاد ان ينفجر . . .
من يجراً على اتهامي ؟ من يطالبني به ؟ . . . انا اقوى من الجميع . . .
ياخذ السكين عن الطاولة . وبد ان يضجر قليلاً يدخل النرفة بكل سرعة)

المشهد الثاني

مریم . ثم ليلى . ثم ابوشهيد

(تدخل بد قليل) لم استطع ان انام . شيء يدفعني الى هذه النرفة .
وقلبي يقول لي ان هذا الفتى الذي هنت اليه نفسي منذ رأيتة هو
قريب مني ، هو شيء مني ، فمن تراه يكون ! . . . قد اثار صوتة في
جوانب صدري عراطف غريبة ، وشعوراً عجيماً . تطلماته و اشاراته
تذكرني بتطلمات وحركات اعرقها . اهو كاذب في ادعائه بانه غريب
عنا ! تراه يكون ولدي ا . . . احب ان يخدعنا هذه الخدعة
اللطيفة ! ايها المذراء ، بحق ولدك الالهي ، لا تكذبي رجائي .

مریم

- ليلي (تدخل) امي ، انت هنا ؟ ما انهضك من نومك ا
 مريم لا شي . يا ولدي ، وانت ا
 ليلي اري ان فكراً واحداً دفعنا الى هنا . (نزع جلاجل البنال من بيد
 وصوت « عتاباً »)
 مريم نعم . فانا في شك من صحة كلام هذا الفتى ، وشيء يقول لي في
 اعماق صدري انه شهيد ولدي .
 ليلي اخي . . . اخي . . . ان هذه الافكار قد ساورتني منذ ذهابي للنوم ،
 ولم تهدأ . فنهضت الى غرفتك لافتحك بالامر ، فما وجدتك ، فأتيت
 الى هنا . آه فما اشد ما يكون سروري ان صح حلمي .
 (بتدرب صوت المكارين وصوت الجلاجل)
 مريم لا تأملي كثيراً ، يا بنيتي ، فان الحية اشد هولاً من الياس ا
 ليلي (تطل من الفتحة) هولاء مكارون آتون من بيروت - اتسمين صوت
 الجلاجل في اعناق البنال ؟ هذا فياض ، ورفيقه سلمان .
 مريم (تقرب من ليلي) اري البنال قد اتجهت صوبنا ، واخذت في الطريق
 المرزدية الى البيت .
 ليلي هي صاعدة بين التوت . . . ربي اهذه احمال مسافرين : صناديق ،
 واكياس ، وكراسي .
 مريم وصلت البنال الى القبر . . . وقفت .
 ليلي اماء ، هو اخي .
 (هنا يطل ابو شهيد من الباب ويداه عليها دم ، وعيناه نافرتان .)
 مريم يا خليل ، يا ابا شهيد . (تتجهم نحو غرفته لتدعوه)
 ليلي أبي ، أبي ، هو اخي . (تنظر الى ايها واذا تراه في حالك الراحبة تنراجع الى
 الزوا)
 ابو شهيد آه ا قد قتلت ولدي بيدي ؟ (ثم يسقط على الارض بلا حراك)

يقول السار قليلاً فليلاً

تمت

شركة

شركة هديدي بين مكة وجدة

قرأنا في جريدة « صوت الحجاز » المكية (العدد ٤٨ بتاريخ ٦ آذار ١٩٣٣) رسوماً لابن سعود يُقر فيه اتفاقاً موقفاً بين وزير ماله والسيد عبد القادر الجيلاني بشأن انشاء خط حديدي بين مكة وجدة . فرأينا من المفيد ان نطلع قراؤنا الكرام ، ولا سيما من كان منهم راغباً في معرفة ما يجري في بلاد الرب، على هذا الرسم وعلى ام مواد الاتفاق المذكور :
اما الرسم فهو :

بسم الله الرحمن الرحيم مرسوم رقم (٥٦٦٥)

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود . ملك المملكة العربية السعودية بعد الاعتماد على الله . وبناء على ما عرضه علينا نائبنا ورئيس مجلس وكلائنا وموافقة مجلس الوكلاء امرنا بما هو آتو :

المادة الاولى — يعتمد الاتفاق الموقع عليه بين وزير مالتنا والسيد عبدالقادر الجيلاني بتاريخ اليوم الخاص بامتياز انشاء خط حديدي بين مكة المكرمة وجدة ، ويكون جزءاً متمماً لهذا المرسوم ولا يجوز تعديله الا بموافقتنا .

المادة الثانية — على وزير مالتنا تنفيذ احكام هذا المرسوم صدر في الرياض في هذا اليوم الثامن والشرين من شهر شوال ١٣٥١ الموافق ٢٣ فبراير ١٩٣٣ . « التوقيع » عبد العزيز

ف ٢٨ شوال سنة ١٣٥١ بامر جلالتة

« التوقيع » فيصل

واما « الامتاقية المصدقة » فهذه ام موادها ، « وقد ضمت الحقوق والمصالح التي يجب ان تلاحظ في هذا المشروع المفيد » ، على قول « صوت الحجاز » :

- ١ — توفرت شركة اسلامية محضة واصحاب الاسهم فيها كلهم مسلمون ، ولد خط حديدي بين مكة — جدة .
- ٢ — رأس مال الشركة خمسة ملايين ربية قابلة للزيادة اذا قضت الضرورة ، مقسمة الى مائة الف سهم كل سهم بخمسين ربية .

- ٤ - تجيز الشركة قسماً من الاسهم ليشارك فيها الحكومة والوطنيون.
- ٥ - مدة الامتياز خمسين سنة من تاريخ اعطائه.
- ٨ - تدفع الشركة للحكومة مبلغ مليون ربية مقدماً مقسطة على خمسة اقساط شهرية تبتدى من رجب عام ٣٥٢ وتنتهي في شهر ذي القعدة ٣٥٢ كل قسط منها مبلغ مائتي الف ربية على ان تستوفيه الشركة من الحكومة بنحضم خمسة في المائة من حصة الحكومة في واردات الشركة.
- ٩ - يكون الابتداء في مد الخط من شهر رجب سنة ٣٥٢ على شرط انه اذا انتهى شهر ذي الحجة ٣٥٢ ولم تبتدى الشركة في مده فللحكومة الحق في الفاء الامتياز او ابقائه ولا يكون للشركة حق المطالبة في المبلغ الذي تكون قد دفعته للحكومة المبين بالمادة الثامنة.
- ١٥ - اعتباراً من الشروع في تسيير الخط تمنع الحكومة طيارة مدة الامتياز سير السيارات بين مكة وجدة الا ما كان منها للحكومة او لاصحابها المحصورين على انه اذا حل رجب ٣٥٤ ولم يكمل تسيير الخط فان السيارات تظل سائرة الى نهاية موسم الحج.
- ٢٠ - على الشركة ان تؤمن قيام قطار من مكة ومثله من جدة في كل اربعة وعشرين ساعة على الاقل ويتفق على مواعيد قيام هذه القطارات بين الحكومة والشركة ، وعلى الشركة ايضاً ان تتعد لتأمين النقلات الاخرى التي تريد عن القطارات المعتادة خصوصاً في ايام الحج والتزول.
- ٢١ - دفاتر حسابات الشركة وتذاكر الركاب ومعاملات الشركة مع الحكومة ومعاملاتها مع الجمهور تكون باللغة العربية.
- ٢٥ - على الشركة ان تضع في نظامها نصوصاً واضحة تتعين بها طريقة انتقال الاسهم والتداول بها في الاسواق المالية لاجل حفظها في يد المسلمين فقط ومنع تحريكها الى سواهم . وعلى الشركة ان تلاحظ ايضاً ضرورة ترجيح بيع الاسهم للموظفين على سواهم بحيث ان الاسهم التي يمرضها حاملوها للبيع في الخارج - تعرض خلال مدة معينة على اهل البلاد فان رغبوا فيها بيعت لهم والا تباع للطالين من المسلمين في الخارج .

أصول الشرك اليوناني

Picard (Charles) : Les Origines du polythéisme hellénique. L'ère homérique. [« Art et Religion »]. in-8° de 192 pp. 24 pl. hors texte. Paris, H. Laurens, 1932, Prix : 20 fs.

أصول الشرك اليوناني : العصر الهومييري

تقدم لنا في « الشرق » (٢٩) [١٩٣١] : (٢٤) وصف الجزء الأول من هذا الكتاب ، وقد نشره المؤلف سنة ١٩٣٠ ، خاصاً إياه بالفن الاقريطشي - الميقيني وما يدل عليه من عاطفة دينية . وهذا اننا نصف اليوم جزءه الثاني والاخير متعلقاً كسابقه بأصول الشرك اليوناني ، مفيداً الفائدة نفسها . الا انه اوسع مادة من الاول ، واكثر وثائق ومستندات حتى ان المؤلف يستغل لا المكتشفات الحثية الاخيرة فحسب بل يستفيد ايضاً من مكتشفات راس شمر ، اقرب اللاذقية ؛ يدرسها ويعلماها بسهولة جديرة بالذكر مستخرجاً منها كثيراً من الآراء الجديدة والنظريات الشخصية ، دالاً على تطلع من موضوعه وموافقة متواصلة لمشاكله المختلفة . ثم ان العصر الماضي لم يكن يقدم للباحث الا اسانيد صامتة ، ان صح لنا هذا التعبير ، إما لأن الزمن لم يكند يحفظ بشيء من آثار ذلك العصر ؛ وإما لأن العلماء لم يتسكنوا حتى اليوم من حل الكتابات الاقريطشية - الابجدية . وهو خلاف ما يظهر في عصر هوميروس الذي عاش حوالي السنة ٨٥٠ ق. م . فان الكتابة الابجدية كانت قد استقرت في بلاد اليونان وفي آسية الصغرى . فكان من ذلك عصر جديد يصل بين ماضٍ مظلم ، وحاضر علمت على تكوينه الرخسات المندية . الاوربية المهابطة من الشمال ، ومستقبل يزداد ازدهاره شيئاً فشيئاً في ما خص القرن . وقد اوقف المؤلف موضوع مجده عند العصر المدرسي المعروف .

وهو ينتقل ، في درس العصر الهومييري ، من ذكر الديانة الروحانية الصوفية الشرقية المظهر التي خلفت الاصول الاولى ، الى ذكر ازدهار العبادة المندية .

الاوربية المشبهة . وهو ما عمل على توليد آلهة الارللب المعروفة بما اضيف اليها من الزيادات الصادرة عن مناطق البحر المتوسط من مصرية ، واسيوية ، وميقينية قديمة ، وغير ذلك ، مختلطةً أولاً بديانة بلاد اليونان الشمالية وقتها القديم . وقد صار هذا الشرك الاسطوري ميزةً فارقة للديانة اليونانية في العصر المدرسي . وانه بفضل ما في اصوله من التنوع والتشعب والتعدد ، دفع اليونان ، تحت التأثير الهندي-الاوربي ، الى الانتقال من دين سعري محض في شرح الحياة الى الاخذ بعقيدة تاريخية علمية . فكانت هذه الظاهرة ، في زعم المؤلف وفي نظر العالم الديني الشرقي ، « تجزيراً للعالم البشري » . (ص ١٦٦) على ان الدائنين احتفظوا من ماضيهم بكل ما لم يكن من شأنه ان يجرح فكرتهم الراقية في المحيط الجديد ، مستندين في كل ذلك الى الرمز والاسطورة اكثر من استنادهم الى الطقس وطريقة العبادة . وبالاختصار فان ذاك الدين القديم مال الى الاخذ بالتأثير العقلي . وقد لزم بعد ذلك ، على عهد الاسكندر الكبير ، تأثير جديد من قبل الديانات الشرقية لتوليد الديانات المعروفة « بالديانات الخلاصية » هذا وان المؤلف من منكري الوحي ، دفعه ذلك ، غير مرة ، الى مقابلات بين الديانات التي يدرسها والدين المسيحي لم يبدل فيها على بعد نظر وتوثق في الحكم . وسها يكن من امر فليس الدين المسيحي « باليهودية المتأثرة باليونانية » كما يزعم (ص ١٨٤) . وقد اخطأ ايضاً خطأ فاحشاً في ما خص « اسطوانات تيسكيقتش » (Tyskiewicz) متأثراً في ذلك بوجه الاستاذ دوسو (ص ١١٦) . وكنت قد بينت هذا الخطأ في مجموعة كليتنا (MUSJ, XV [1931] p. 261.280) ويمكن ان يراجع في ذلك ايضاً Götze [Orientalist. Literat. Zeit. 1932, p. 465] ، وفي الموضوع نفسه Schachermayer [Archiv f. Orientforsch. 1932, p. 284]

اما عن هذا الكتاب المشحون بالمعلومات والافكار والنظريات والآراء الفنية والفلسفية بما فيه من الالواح التصويرية فمشرون فرنكاً لا غير . وهو امر يكاد لا يصدق . وعليه . فاننا نقدم للطابع ايضاً اخلص تهانينا س . د .

Kazom Daghestani : Etude sociologique sur la famille musulmane contemporaine en Syrie. XV+ 226 pp. avec 1 carte hors texte. Paris, Librairie Ernest Leroux. Prix : 40 fs.

الاسرة المسلمة المعاصرة في سورية

هو بحث دقيق نفيس في احوال الاسرة المسلمة السنية المعاصرة في سورية، قام به الاستاذ كاظم الداغستاني مستعداً له بثقافة علمية غربية وباطلاع واسع على مظاهر الهيئة الاجتماعية المسلمة في سورية التي يدرسها كأحد ابنائها . فإلى عمله من ادق ما كتب في الموضوع ، ومما يتوصل اليه نادراً علماء التربيين والشرقيين . لما يتقص الاولين عادةً من معرفة باللفة والعادات السورية ومن سهولة في ملاعبة العيال المسلمة ، ولما يتقص الآخريين من ثقافة علمية ضرورية في هذه الابحاث ، ومن تجرد عن الهوس والهوى . اما الاستاذ الداغستاني فقد توفى في تدليل الكثير من هذه العقبات ، ممهّداً السيل الى دروس اجتماعية وعمرانية نحن في اشد الحاجة اليها اليوم ، وقد اخذت سورية بتطور يظهر في انظمتها ومراساتها . حتى ان كتابه الذي لا يستغرب طريقته احد في اوروبا ، على قول الاستاذ غودفروا ديومبين كاتب المقدمة ، قد يظهر في سورية بظهور التجديد . وهو تجديد صالح ، مشر ، ان شاء الله .

يبدأ المؤلف بتحديد موضوعه في المكان كما حدده في الزمان . وكما انه يحرص ببحثه في الاسرة المسلمة السنية المعاصرة ، كذلك يحرصه في السنين القاطنين سورية الادارية ، تاركاً جانباً العلويين والدروز ومن اليهم من الفرق التي تختلف اخلاقها وعاداتها عن اخلاق السنين وعاداتهم . وهو لا يهتم كذلك بالبدو الرحل . على انه لا يهمل ما يراه من الشبه بين عادات هذه الشعوب وعادات الشعب الذي يدرسه ، فيشير الى ذلك في حواشي الكتاب التي ، وان لم تكون مقابلة تامة في العادات والاخلاق ، فانها تظهر فائدة جزيلة يشكر عليها المؤلف .

وقد يشير ايضاً الى ما يشابه عادات السنين السوريين من عادات غيرهم كما وازنة لبنان ، ودروز الجبل .

اما التقسيم الذي يتبعه فهو التقسيم الطبيعي المعقول دارساً مظاهر الحياة الاجتماعية في الاسر المدنية ثم القروية ، ثم عند البدو المتحضرين ، ثم عيسد الشركس والاكرد والقركان من الذين لم يتخلقوا باخلاق السنين في المدن الكبيرة ، مبتدئاً « بالزواج » وما يتأق به من عمر المروسين ، وشروط العقد ، والأساطير والحرفات المتعددة ؛ ثم « بالحياة الزوجية » وما تفرض من حقوق وواجبات ؛ ثم يتكلم عن « الاولاد ووالديهم » وما بينهم من علائق ؛ ثم يخوض في « الاسرة » على الجملة . وهو ينظر في كل ذلك لا الى الشروط والاحوال التي يفرضها الشرع ، بل الى المظاهر التي تبدو في واقع الحال . فيكون كتابه من ثمّ وصفاً موضوعياً يمتدحاً لحالة الاسرة المسلمة السنية المعاصرة في سورية . وهو ما اراده ، غير متجاوز ذلك الى شيء . من النتائج السياسية او القضائية . بما دفع الاستاذ غودفروا ديمومين الى التمني ان يصح الكتاب مثلاً للتأليف المشابهة في سورية ، فيفيدا شيئاً من تجرّده العلمي . وهو ما نوافق الاستاذ عليه بكل اخلاص .

ف . ا . ب .

Almanach Catholique Français pour 1933. 1 vol. de 480 pp.,
250 illustr. Prix : 7 fs. Bloud et Gay, Paris.

التقوم الكاثوليكي الفرنسي لسنة ١٩٣٣

ليس من حاجة الى وصف هذا التقوم المعروف بعلوماته الوافرة ، القائم باجل الخدم لكل من تهتم الحوادث الدينية ، والادبية ، والفنية ، والعلمية ، والاجتماعية ، وموقف الكنيسة الكاثوليكية منها . وما اقبال الناس عليه والسناية بمراجعتهم كل ما عرضت لهم هذه الامور الا الشاهد العدل على هذه القيمة . فضلاً عن ان اسلوبه الشائق من اوفر العوامل ترغيباً في مطالعته . وقد زيد عليه هذه السنة تجديدات حسنة منها عدد من الروايات التشيلية القصيرة ، والحكايات الرشيقة ؛ وعدة اجناس بعنوان « مشاكل اليوم » ، واخرى بعنوان « قصص الضيق » . ثم معجم كامل باسماء الاشخاص المهتمين وبعض المعلومات عنهم .

Maurice Moch : Le Mandat Britannique en Palestine, p. VI + 416. Paris, Mecheleinck, 1932.

الانتداب البريطاني على فلسطين

امانا اطروحة لنيل الدكتوراه في الحقوق تشمل درس الانتداب في حد نفسه ، وما ينتج عن تطبيقه من المظاهر القضائية . يبدأ المؤلف بتلخيص تاريخ فلسطين على عهد السلطنة العثمانية ، ثم يذكر الاتفاقات المديدة التي توالى على اثر انتهاء الحرب الكبرى فأدت الى موافقة جمعية الامم على الانتداب البريطاني . بعد ذلك ينتقل الى عرض المظاهر المتعددة للوطن القومي اليهودي ، متخذاً من تحليل اسمه القضائية . ويعطف على واجبات الدولة المنتدبة فيخص بها ثلث الكتاب مفرغاً ابجائه الى ثلاثة اقسام يدرس في الاول واجبات الدولة تجاه سكان البلاد ، وفي الثاني واجباتها تجاه الدول الاخرى ، وفي الثالث واجباتها تجاه جمعية الامم . واخيراً يعرض لذكر الشروط الشرعية والواقعية التي تسبق انتهاء النظام الانتدائي . وقد الحق بهذا القسم من كتابه نص صك الانتداب على فلسطين ، ونصوص بعض الانظمة التي سنتها السلطة البريطانية .

هذا ، وعلى كون المؤلف يشير بعض الاحيان الى الاحصاف اللاحق بالمهاجرين الصهيونيين لعدم معاملتهم بالمساواة ، فانه يحتفظ دائماً بلهجة الرزانة والتجرد الجديرة بالابحاث العلمية .

ك . ب . هيرز

Bulgakoff : L'Orthodoxie. [Collection « Les Religions ».] in-12 de 273 p. Prix : 15 f., Librairie Félix Alcan.

الارثوذكسية

كان مؤلف هذا الكتاب استاذاً في جامعة موسكو سابقاً ، وهو اليوم استاذ اللاهوت الارثوذكسي في المعهد الروسي في باريس . فحق للدطلاع من ثم ان يتفاد خيراً بكتابيه الجميل المظهر ، ويؤمل فيه درساً دقيقاً للموضوع وتصويراً حقاً صحيحاً لتلك الارثوذكسية التي يعرفها المؤلف ويحبها . على ان الواقع يجيب الامل لسوء الحظ . فان من يطالع الكتاب يرى ارثوذكسية عجيبة غريبة حتى انها تبعد البعد كله عما تراه الكنيسة الصقلية الروسية نفسها . نقول هذا ونحن لا يمكننا الاعتقاد ان تلك الكنيسة تبني وتقر

نظريات المراتب الفلسفية في ما خص مدلول «الكنيسة» عامة وما تعلق بها . زد على ذلك ان لسلوب المراتب ابعاد من ان يعمل على ايضاح تلك المشاكل المتعددة . فهو يقوم بتوسيمات وتطويلات مملّة لا اقسام لها ظاهرة ، ولا انتقالات معقولة . ثم ان استعماله الكثير من المفردات الجديدة يزيد الارتباك والنموض في موضوع كاللاهوت بحاجة الى اكثر مما يمكن من الدقة والصرامة ، فضلاً عن تلك المناظرات والمناقشات التي تمس كل شيء . ولا تحمل شيئاً بل لا تحدّد شيئاً . واوفر مثال على ذلك الفصل الخاص بالكنيسة الذي يفتح الكتاب لسره . حظّ المطالع . وان هذا ليجهد النفس في قراءته حتى اذا قدر على اتمامه ، ولا اخاله يقدر على ذلك بسهولة ، خرج مضطرب الدماغ يتطلّب النور والراحة والسلام . تقول هذا بكل أسف ، متحقين ان الكتاب المذكور ابعاد من ان يدلّ على وجه الارثوذكسية الحقيقي .

ي . ك .

Georges Coolen : Histoire de l'Eglise d'Angleterre. Paris, Bloud et Gay, 1932. 198 pp. 12 fs.

تاريخ كنيسة انكلترا

هذا المجلّد الصغير حلقة من «المكبة الكاثوليكية للعلوم الدينية» داخلة في سلسلة «النصرانية في العالم» . وهو يلحق بالبحاث سبقت عن اليهودية والبوذية . واذاً فليس من المتوقع ان يهتم الكتاب خاصةً بدرس تطوّر الكتلركة في بلاد الانكليز . انا هو تاريخ لكنيسة انكلترا الرسمية التي انشأها السلطة المدنية في القرن السادس عشر عهداً كانت اوربة الغريبة تقاسي تلك الازمة السياسية والعقلى التي تبعت عصر النهضة . وان في الكتاب مواد مفيدة للغاية . من ذلك وصف العقبات والصعوبات التي قاستها تلك النصرانية المقترعة عن اصاها وما اكتنفها من التقلل والاضطراب ، وما اخذ به الانكليكان في الظروف المختلفة من قوانين الايمان المتنوعة . مما يدلّ على الطيعة الحقة للبروتستانية الانكليزية . ويرى المطالع ايضاً في هذا الكتاب ان انفصال انكلترا عن الكنيسة الجامعة كان ، قبل كل شيء ، عملاً سياسياً . ولذا فان الامور العقائدية وما يتعلّق بها ظلت ثنوية مدة ثلاثة قرون . وعليه فان

الانجليكانية اقرب الى « اثر فخم قائم بتنوع العقائد ، انشأته السلطة الرمنية رائدة في جمع رعاياها غير الكاثوليكين في اتفانق لفظي » منها الى « كنيسته منشئة » . ثم ان من يقرأ ملخص تاريخ هذه الانجليكانية في القرن الماضي يتحقق مفعول الحركة التجديدية من جهة ، ومن جهة اخرى تأثير الميل الى الاخذ بالطبقيات . فيمكنه ان يحكم بصواب على اسباب الارتداد الجزئي الى العقائد الكاثوليكية وطبقاتها ، ذاك الارتداد الذي كان لكثيرين خطورة اولى قادتهم الى الرجوع النهائي الى حظيرة الكنيسة الحقة . ك . ب . هيرز

Marc Vichniac: *Léonie*. [Collection « Ames et Visages »]. 1 vol. in-16 de 268 p. Prix : 20 fs. Librairie Armand Colin, Paris.

لينين

مؤلف الكتاب من اساتذة الحقوق في القسم الروسي من معهد الدروس الصقلية في باريس . وهو من اجهد الناس بالكتابة عن لينين لانه خاض ثورة ١٩١٧ ، فكان سكرتيراً عاماً للمجلس التأسيسي الروسي . فيمكنه اذاً ان يتكلم عن ذلك كلام شاهد عيان بل كلام قائم بالامر احياناً . ثم ان صفته الاشتراكية الثوروية تمكنه من ان يفهم حق الفهم رجال الثورة ومآتهم دون . ان تطوح به الى التقريظ الشامل او النقد الصارم . فهو يجتهد في ان يحكم الحكم بالذيق المجرد على لينين ، كما عرفه ، وسمعه ، وطلعه . وقد جعل كتابه لا ترجمة حياة تكنتها الاساطير والشائعات بل تأليفاً تاريخياً يتند الى الاقوال الصحيحة النسبة والى الاعمال الواقعية المقررة . فيظهر لنا لينين لا « نفساً صقلية محاطة بالاسرار والاحاجي » بل رجلاً حياً بحسناته وسيئاته ، يعمل قبل كل شيء . على تحقيق الثورة في اواخر القرن التاسع عشر وفي اوائل القرن العشرين ، فيسدو بين زملائه في المؤتمرات السرية حياً ، وفي المنفى حياً آخر ، لا يهته في كل ذلك الا فكرة واحدة هي الثورة . يبدأ من لا شيء . فيصل الى انالة حزبه السلطة العليا - سنة ١٩١٧ . وذلك بفضل ما فطر عليه من قوة ارادة لا يتبسطها فشل وشدة اخلاص للبدأ لا يزغزعه شيء . وبفضل ما خص به من دقة في النظر السياسي ، ومن ازدياد للتقاليد العامة والنظم الادبية المقررة . وبفضل ما

توفق اليه من جمع فئة من الثورويين لا يتراجعون امام شي. يحاولون احداث
سورة سنة ١٩٠٥ فيفشلون ريةضون السنين المرة في المنفى . ثم يعودون الى
العمل فينجحون سنة ١٩١٢ . ولا يظهر ان لينين تعلق بشي . في حياته المضطربة
القلقة الا بالناية الثوروية التي احتلت في شخصيته محل الهيام الشديد فارسلته ،
على كونه عديم البقرية ضعيف الابتكار ، الى ان يخضع لسلطته الفكرية
سدس العالم .

D^r Ludwig F. Clauss : Als Beduine unter Beduinen. Mit 26
Bildern, in-8°, VIII + 114 pp. 15 Tafeln. Prix. : 3 M.,80. Freiburg
im Breisgau, Herder.

كيدوي بين البدو

هذا المجلد جزء من مجموعة خاصة بالجغرافية وبدرس الشعوب الاجنبية .
وهو مثال جميل لرحلة غاية في اللذة والفائدة قام بها المؤلف مؤخراً منضماً الى
جماعة من بدو شمالي بلاد الغرب . فسار معهم من ضواحي الاردن الى حدود
بلاد الرومانيين ، عاشت معيشتهم خاصاً لعاداتهم ، متخلفاً باخلاقهم ، مستفيداً
معرفة دقيقة بشؤون الصحراء وبطباع سكانها قلماً وصل اليها اجنبي . وقد
صور التصاوير المديدة زين بها كتابه ، فكانت خير دليل للسطالع تفيدته وتلذته
بكونها جديدة لا يشعر اذ يراها بأنه يعرفها سابقاً . والخلاصة ان هذا الكتاب
الصغير لا يستغني عنه الجغرافيون ومن يهتم درس اخلاق الشعوب المختلفة .
ج . ل .

H. Desson : Ce qu'il faut connaitre de l'Islam. in-12. Prix :
8 fr. Paris, Boivin et C^{ie}.

ما يجب معرفته عن الاسلام

غاية هذا الكتاب بسط معلومات عامة عن الاسلام لجمهوره المطالعين . الا
ان المؤلف لم يستند في كل ذلك الا الى مطالعات سطحية وملاحظات شخصية
اجراها خصوصاً في بلاد الجزائر . فاقى كتابه محصوراً بدائرة ضيقة لا يذكر عن
الاسلام الا المعروفات العامة . وهو ، ان كان كافياً للغريب المستعجل ، فلا يمكن

الاستقاء منه إلا بكل تحفظ ، ولا السير وراءه ، لانه ليس بالدليل المطلق تمام
الاطلاع . ج . ل .

Albert Finet : Au pays de la Bible. in-12 de 229 pp. Prix :
15 fs. Paris, Société commerciale d'édition et de librairie.

في بلاد الكتاب المقدس

رحلة شائقة قام بها زائر دقيق الملاحظة جمع في اقواله تذكارات الماضي الى
مراقبة الحاضر . وقد زار كل الامكنة المهمة مبتدئاً باورشليم ، فاليهودية ،
فالسامرة ، فالساحل ، ومدوناً بالاختصار ما حفظه التاريخ عن هذه الاماكن ،
خاصاً آخر الكتاب بذكر الصهيونية ، جامعاً فيه بعض الحوادث الجديرة بالملاحظة .
واننا نشير الى احداها كملخص لعقيدة الصهيونيين قال (ص ١٢٥) : « سافرت
يوماً من سسخ ، على شاطئ بحيرة طبرية ، الى حيننا بالقطار . وكان الى جنبي
فتاة يهودية بولونية الاصل تقصد الالتحاق بالطائرة اليهودية في بنيامين . وقبل
ان تصل فتحت الباب واطلّت تلتهم بناظرياً تلك المشاهد الطبيعية . قلت
لها : انتهي واحذري القوط . فالتفت نحوي بعينين برّاقتين وقالت : « دعني
انظر الى ارضي . »

Emile Faguet : Histoire de la poésie française, de la Renaissance
au Romantisme. t. VI, de Boileau à Voltaire 1700-1720. Prix:
15 fs. Paris, Boivin et C^{ie}.

تاريخ الشعر الفرنسي : المجلد السادس : من بوالو الى فولتير

هو المجلد السادس من تاريخ الشعر الفرنسي للناقد الشهير اميل فاغيه ،
يخصه بحقبة لا تتجاوز العشرين سنة ، حقبة انحطاط وضمحل ان جاز الكلام فيها
عن « الشعراء » فلا يجوز عن « الشعر » الحقيقي . وان وجد المرزخ شيئاً من
الشعر المزخرف ، او الشعر الظرفي ، او الشعر الفلسفي في القرن الثامن عشر ،
فلا يجد شيئاً يستحق الذكر في هذه الحقبة من بوالو الى فولتير . على ان السائر
في هذا القفر الشعري له من المؤلف دليل مطلع امين دقيق الاحكام شائق
الاسلوب . مما يجعل كتابه جديراً بان يكون في مكتبة اساتذة الادب
فيستفيدوا منه ويفيدوا تلامذتهم . ج . ل .

Raoul Plus s. j. : Marie dans notre histoire divine. *Beau vol. in-8° sur alfa, de 176 pp. Prix : 6 fs. Editions de l'Apostolat de la Prière.*

سرم المذراء في تاريخنا الالهي

يقدم المؤلف كتابه الى الطلاب المشتركين باخوية المذراء في معاهد مدينة ليل الكاثوليكية ، ثم الى جميع النفوس المخلصة المتسبدة لامّ الله . وهو وافر الفائدة واللذة يمكن ان يستقي منه جميع الكهننة ، والرهبان ، والشبان ، والشابات وكل من كان مشتركاً باحدى اخويات المذراء ، او اراد ان يتقرب من معرفة امّ الله معرفة تامة - تفهيدية وتقوية .

M^{me} Compaing de la Tour-Girard : L'Histoire Sainte de mes tout-petits. *Préface du R. P. Lhande s. j. Illustrations de M. Seyrac. Beau vol. in-8° de 380 pp. Prix : 10 fs. Editions de l'Apostolat de la Prière.*

تلميح التاريخ الديني للصغار

ان رجال المهدي القديم سيصبحون شخصيات حية لدى الصغار فيخرجون من مجرد التماثيل القديمة الى شيوخ وشبان يعرفهم الدارسون ويؤلفونهم . وذلك بفضل هذا الكتاب الذي من اخص مزاياه الحياة والرونق . ولا شك ان اولئك الصغار سيؤخذون بهذه الحياة ويتعودون مؤالفة الابطال المذكورين حتى يدفهم ذلك ، في ما بعد ، الى قراءة الكتاب المقدس بكامله وتفهم روحه . وهو افضل ما يؤمل من المؤلف الحاضر .

P. P. Guissard : Portraits assumptionistes. 1 vol. de 422 pp. *Prix, broché : 15 fs. Bonne Presse, Paris.*

صور لبعض الصوريين

لكل اسرة رهبانية روحها ، ونظام سيرها ، واعمالها . ولا يخفى ما يستفيد افرادها من مطالعة تراجم متقدميهم وسلفاتهم في الرهبانية ، ومن النظر الى صورهم العائلية . وكذلك يستفيد التربوا عن تلك الاسرة بان يتعرفوا الى بعض رجال الرهبانية في اعمالهم المتعددة في الازمنة المختلفة . هذه هي الغاية التي رعى اليها المؤلف اذ عرض عدة صور من جماعة الصوريين . بينهم ثلاثة « قداما » ، واربعة « مرسلين » ، وسبعة « مهديين » ، وثمانية من ارباب الطبع والشر ، وثمانية من « زهرات حلقات الدرس » ، واربعة من قتلى الحرب ،

وانتان من «القلوب المخلصة» . وان هذه الانواع تمثل اقسام الكتاب .

محاضرات في التربية والتعليم

تأليف واصف بارودي

٨٠ ص . متوسطة - مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٣٢

عُرف الاستاذ واصف البارودي ، احد مفتشي المصارف في الجمهورية اللبنانية ، باطلاعه الواسع على طرق التلميم ، ويرغبته الشديدة في جعل التدريس على اقرب طريقة ممكنة ، وهي « الطريقة المباشرة » لما توفر للمعلم من سهولة وانتفاع بالوقت ، وللولد من لذة وشوق . وقد ساعد الاستاذ على تحقيق هذه الرغبة خبرة حصلها في رحلاته التنقيشية العديدة ، فعرف الداء ووصف الدواء في كتابين صغيرين ظهر الاول منها وهو الحالي ، وسيظهر الثاني بعنوان « مقالات في التربية والتعليم » . اما الاول فيجمع محاضرات ثلاث تدور الاوليان منها حول تدريس اللغة ، وهي اول ما يجب على الطالب تحصيله ، فتغوض الاولى في « اللغة والمحادثة » وما يُفرض على المعلم في تمرير التلامذة التحدث باللغة الفصحى ، وتهتم الثانية « بتدريس قواعد اللغة » على اسلوب عصري سهل يستند الى الطريقة المباشرة المذكورة اعلاه . اما المحاضرة الثالثة فقد خصها المؤلف « بكيفية التدريس في مدرسة ذات معلم واحد » . فابدى فيها من النصائح ما يشكره له جميع معلمي القرى . واردف الكتاب بلحقات ثلاثة فيها طريقة لتوزيع الساعات في اقسام التلميم الثلاثة : التجهيزي والاعدادي والوسط . فكان عمله عمل المقتس الساهر على سير التلميم الحسن ، الراغب في اعطاء التلامذة الثقافة الحقة .

ف . ا . ب .

السوريون في مصر

بقلم الحوري بولس قرألي

١٠٨ ص . متوسطة كبيرة - مطبعة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٣

هو القسم الثاني من الجزء الاول لكتاب « السوريون في مصر » الذي يهتم بتأليفه حضرة المؤرخ المعروف الحوري بولس قرألي . كان قد نشره تباعاً في مجلته البطريركية ، جاماً فيه الوثائق الخطية المتعلقة بالسوريين في القطر

المصري على عهد المالك من سنة ١٧٥٠ الى ١٨٠٥ خاصة . وهي ١٨ وثيقة من فرمانات سلطانية ، ومناشير بطريركية ، ورسائل واجوبة تتعلق بشؤون دينية ومدنية ، ومذكرات شخصية ، الى غير ذلك من الاصول المهمة للموضوع المذكور . نشرها حضرة الاب وعلق عليها بعض الحواشي ، ووضع لها فهرساً ايجدياً عاماً يسهل الاستفادة منها ، فاستحق ثناء كل المشتغلين بالتاريخ الشرقي .
ف . ا . ب .

رئآت المثلث والمثاني في رواية الاغاني

الجزء الاول

٢١٢ ص . متوسطة - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢

هي الطبعة الرابعة لذاك الكتاب الشهير بين ارباب المدارس الثنوية الذي انتخبه حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي من كتاب « الاغاني » الكبير ، فاختار الروايات الادبية ، وصححهما ، وعلق عليها الحواشي التاريخية والقروية المفيدة وطبعها لفائدة طلاب الصغوف العليا . وها قد بلغت اليوم طبعها الرابعة ممتازة ببعض الاصلاحات في اساء الاعلام ، وبكثير من الحواشي ، وبفهارس ايجدية ثلاثة لاساء الشعراء ، والاماكن ، وما فُتر من الفاظ اللغة .

اميرة بابلية لدى الدروز

تأليف پول هنري بوردو - تعريب ميشيل سليم كيد

١٠٤ ص . متوسطة صغيرة - المطبعة المصرية ، مصر ، ١٩٣٢

هي رواية خيالية ألقتها ابنة الكاتب الفرنسي المعروف السيد هنري بوردو جاعلة بطلها اميرة بندقادية الاصل تحملها صروف الدهر على الالتجاء الى حمى الامير بشير الكبير في لبنان . ثم تنتهي حياتها الثامنة في لندرة . عرب هذه الرواية الاديب ميشيل سليم كيد وعلق عليها حواشي قليلة بعد ان قدم على ذلك بحثاً اشار فيه الى « منهجه في التعريب وهو الامانة التامة في النقل . » ثم الحق بالرواية « تعليقاً في العن العربي واصله . » فاتي الكتاب لطيفاً ملياً ، وان لم يتم العرب بيناه الاهتمام الواجب .
ف . ا . ب .

أهم حوادث الشرق في شهر

١٥ شباط - ١٥ آذار ١٩٣٣

بنائه وسوربه - جاء من رومة ان قداسة الحبر الاعظم قد منح غبطة البطاريرك الماروني درع التثبيت المعروف « باليايوم » ، وكذلك منح الدرع نفسه لقبطة بطريرك الارمن الكاثوليك .

* رخص المفروض السامي لحكومتى لبنان وسورية ان تزيدا قيمة قطع العملة الفضية الى ما يبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ ليرة لبنانية سورية .

* اصدر رئيس الحكومة اللبنانية ثلاثة مراسيم اشتراعية تقضي بالحصول على شهادة البكالوريا اللبنانية للتعليم الثنوي او على شهادة معتبرة رسمياً معادلة لها لمن يرغب في مزاولة المحاماة او الصيدلة او الطب . وذلك ابتداء من ١ ك ١٩٣٦ للصحامين ، ومن ١ ت ١٩٣٨ للصيادلة ، ومن ١ ت ١٩٣٩ للاطباء .

* اذاعت وزارة المعارف السورية بلاغاً على دوائرها تطلب فيه استعمال التاريخ الهجري في المعاملات .

* اصدر رئيس الجمهورية السورية مرسوماً يؤجل موعد انعقاد المجلس النيابي الى ٢٢ نيسان .

* اضرب سواقو السيارات اللبنانيون مدة ستة عشر يوماً احتجاجاً على فداحة الضرائب وغلاء البنزين . وقد حققت الحكومة بعض مطالبهم

العلويون - جبل الدرروز - اجتمع زعماء العلويين في منطقة اللاذقية وقرروا استقلال بلادهم تحت انتداب فرنسا .

* اجتمع كذلك زعماء جبل الدرروز وقرروا انفصال حكومتهم عن سورية .

مصر - زار مصر ملك ايطالية وملكها فاقاما في انجانها من ٢٠ شباط الى ٩ آذار .

* ابل صدقي باشا رئيس الوزارة من مرضه .